14 me Année No. 683

Lundi—6—8—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ رمضان سنة ١٣٦٥ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مراجعة ديمقراطية

للأستاذ عباس محمود العقاد

معرفة الحاضر على ضوء الماضى كمعرفة الماضى على ضوء الحاضر: كلاهما وسيلة من وسائل المعرفة الصحيحة بعد المقابلة بين الحالات المختلفة

ومنذ أيام رجعنا إلى وثائق الحركة الدستورية والحركة الاستقلالية على عهد الاحتلال ، لأنهما مدار القضية المصرية ، وهى الآن فى دور الفصل والتقرير . فوقفنا على نبذ من طرائف التاريخ القريب تدلنا على ما نحن فيه وما كنا فيه ، وتحتاج إلى بعض التوضيح من طريق التعقيب

كان لورد كرومر يتكلم عن المطالب الوطنية فى تقريره عن سنة ١٩٠٦ فقال عن مطالب الحزب الوطنى : « ... فهمت أنه يطلب إنشاء مجلس شبيه بمجلس النواب البريطانى . ولا أدرى هل كان يطلب حصر السلطة كلها فى مجلس واحد ، أو إنشاء مجلس ثان بمثابة مجلس الشيوخ فى فرنسا ، أو مجلس الأعيان فى انجلترا ، ولا أدرى كذلك هل كان يقصد أن ذلك المجلس النيابى المصرى يسن القوانين لسكان القطر المصرى كلهم بلا فرق ولا تمييز ، أو يسنها لرعايا الحكومة المحلية وحدهم دون غيرهم ...

فلعلى لا أخطئ إذا قلت إن ذلك الحزب يطلب أولا أن تكون الوزارة مسئولة لذلك المجلس ، وأن يتوقف وجودها على بقاء أكثريته معها ، وثانياً أن تكون للمجلس السيطرة التامة على مالية البلاد كما هى الحال فى المجالس التى ينتخب أعضاؤها فى بلاد الإنجليز وفى غيرها من البلدان الأوربية »

ثم قال : « فلو قبل طلبه الأول لأفضى إلى الفوضى بلا مبالغة ، لأنه يثير الدسائس على اختلاف أنواعها ، ويعيد القوة إلى الرشوة التى كانت ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها ، ولا تزال إلى يومنا هذا تموت موتاً بطيئاً جداً ، ولا يبعد أنه يعيد أسوأ مساوئ الحكومة الشخصية تحت ستار المجالس الحرة الشورية . ولو قبل طلبه الثانى وتولى المجلس مراقبة المالية ، لأفضى ذلك بالأمة إلى الإفلاس لا محالة ... »

هكذا كان لورد كرومر يقول قبل أربعين سنة فى إبان سيطرة الاحتلال

ومهما يكن الظن بالباعث له على هذا الرأى سواء اعتقده أو غلبت عليه المصلحة السياسية فيه ، فقد كانت الرقابة البرلمانية هى الشرط الذى اشترط الإنجليز عند ما سلموا ببعض الحقوق الوطنية فى سنة ١٩٢٣ ، أى بعد تقرير كرومر بخمس عشرة سنة . فلم يتشاءموا بالحياة النيابية المصرية يومئذ كما تشاءموا بها قبل تلك الفترة ، ولم يجهلوا ما فيها من الضمان أياً كان غرضهم المقصود من ذلك الضمان

ومضت بضع وعشرون سنة على حياة نيابية متقطعة ، فلم يفض الأمر إلى الإفلاس فى ثروة الحكومة أو ثروة الأمة ، بل زادت موارد الحكومة ثلاثة أضعاف ، ونشأت للأمة موارد صناعية وتجارية لم تكن معروفة عند كتابة ذلك التقرير

وعزل لورد كرومر بعد كتابة هذا التقرير بأقل من عام واحد ، تخلفه سير الدون غورست ، وكتب عن الانتخابات المصرية التى حدثت فى أول عهده فقال : « تمت الانتخابات لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فى آخر السنة الماضية . ولما كانت الميول قد اتجهت مؤخراً إلى إدخال شكل من أشكال الحكم انيابى إلى هذه البلاد ، فيحسن بى أن أروى بالتمام ما يحدث فى هذه الانتخابات »

وبعد أن أوجز القول عن قانون الانتخاب قال : « فى القاهرة ١٣٤٠٠٠ بالغ مصرى ، ولكن المقيدة أسماؤهم فى السجلات منهم ٣٤٠٠٠ ، وقد بلغ عدد الذين اقترعوا من بين هؤلاء ٥٠٠ فقط ، أى ٤ر١ فى المائة من الذين قيدوا أسماءهم فى السجلات ، و ١ر٠ من مجموع الذين لهم حق الاقتراع . وكان عدد المندوبين الذين اقترعوا فى الانتخاب الثانى ١٢ فقط بدلا من ١٣ على عدد دوائر القاهرة لأن الانتخاب لم يتم فى إحدى الدوائر إذ لم يترشح أحد للانتخاب » .

ومضى فى إحصاءات كهذا الإحصاء للدلالة على قلة إقبال الشعب على الانتخاب ثم قال : « ولكن الحال تتبدل متى دخل الانتخاب فى طوره الثانى واجتمع المندوبون لانتخاب أعضاء مجلس المديرية أو الجمعية العمومية أو مجلس الشورى حسبما تدعو الحال ؛ فان الاهتمام يشتد اشتداداً عظيما وينصرف هم المرشحين إلى اكتساب أصوات الناخبين ، وقل أن يتخلف أحد من المندوبين عن الحضور » .

ثم قال : « فالأحوال التى تتم الانتخابات العمومية المصرية فيها تؤيد رأى الذين يرون أن هذه البلاد لا تزال بعيدة جداً عن بلوغ المنزلة التى يستطاع فيها إنشاء شىء من المجالس النيابية الحقيقية ، وقد يتيسر تشكيل مظاهر حكومة كهذه ، وإنما يستحيل ضمان تمثيل آراء أكثرية الأمة تمثيلا صحيحاً فتكون النتيجة الوقوع فى أيدى السياسيين الذين لا يهمهم سوى مصلحتهم فيسهل عليهم العبث بالنظام حتى يطابق أغراضهم » .

ثم ختم هذا البحث بالكلمة التى تستحق الوقوف لديها كثيراً لأنها هى النتيجة المستخلصة من جميع هذه المقدمات إذ يقول : « لست أريد أن يحمل كلامى على رغبتى فى الحط من فائدة هذين المجلسين فى شكلهما الحالى أو المعارضة فى ترقيتهما تدريجيا على نسبة قيامهما بتأدية ما نيط بهما بالحكمة والعقل . فان الاقتراحات التى يقترحها هذان المجلسان كانت تقع موقع الاعتبار لدى الحكومة دائماً ، وقد تيسر فى السنوات الأخيرة قبول كثير من اقتراحاتهما مما يدل على أنهما سالكان السبيل القويم ... » .

فالسير الدون غورست لم يكن مقصراً فى تصوير عيوب الانتخاب ، ولا كان عظيم الرغبة فى الشهادة لمجلس الشورى أو الجمعية العمومية ، ولكنه اعترف بالحقيقة التى هى خلاصة البحث فى هذا الموضوع ، وهى أن الهيئات النيابية تأتى بالفائدة التى لا يستغنى عنها أيا كان نظام الانتخاب ومبلغ العناية بإعطاء الأصوات بين الناخبين .

ونحن نعلم من التجربة أن نظام الانتخاب ذو شأن فى الحياة النيابية ، ولكننا لا نبالغ فى شأنه حتى نحسب أنه يغير تمثيل الأمة فى مجالسها الدستورية .

فالطبقة التى يتألف منها مجلس النواب المصرى هى هى بعينها كلما جرى الانتخاب على اختلاف القوانين من الدرجة الواحدة إلى الدرجتين ومن المندوبين الثلاثينيين إلى المندوبين الخمسينيين ، وهى هى بعينها بالغاً ما بلغ عدد الناخبين فى العواصم والأقاليم ؛ لأن ألف ناخب يمثلون العناصر المصرية كما يمثلهم عشرة آلاف أو أكثر من عشرة آلاف ، إذ كان الاختلاف مقصوراً على العدد فلا يتجاوز ذلك إلى الاختلاف فى تركيب البنية الاجتماعية أو تعدد المصالح الطائفية . فمائة ساكن من سكان المدن يمثلون آراء الشعب ويؤلفون عناصره كما يمثلهم أو يؤلف عناصرهم ألف أو آلاف ، ومن أجل هذا لا يصح أن يقال إن قلة الناخبين تخرج للبلد مجلساً لا يمثل أكثرية الأمة كما قال السير الدون غورست فى تقريره . فان الألف تكرار « عددى » للمائة لا يترتب عليه تغيير فى حقيقة المصالح ولا فى حقيقة التكوين

الاجتماعي ولا في حقيقة التربية السياسية . فلا سبيل إلى تمثيل أصدق من هذا التمثيل بزيادة العدد أو تعديل بعض الشروط .

أما إذا تبدل تكوين العناصر الاجتماعية في الأمة فيومئذ لا يغني الألف عن عشرة الآلاف ، ويومئذ يتحرك العشرة الآلاف جميعاً لإعطاء أصواتهم لأن مصالحهم لا تمثلها مصالح ألف منهم أو ألفين ، ويومئذ يتعلق الأمر بالبواعث النفسية التي تحفز الناخب إلى الاهتمام بإعطاء صوته لمن يرضاه ، ولا يتعلق الأمر بالنصوص الحرفية أو بالكمية العددية ، لأن النصوص الحرفية لا تخلق الاهتمام ، ولا تخلق المصالح التي تبعث في النفوس ذلك الاهتمام .

نعم إن القوانين تحتاج إلى التعديل بين الحين والحين لرفع بعض القيود وتوسيع بعض الحقوق ، وليس هذا الذي ننفيه وننكره لأنه بديهي واضح لا يقبل النفي والانكار ، ولكننا نريد أن نقول إن شأن النصوص والكميات العددية دون ذلك الشأن الضخم الذي يبالغ فيه بعض المقبلين على إحصاءات الانتخابات ؛ لأن تغيير النصوص كما رأينا لم يغير « تركيبة » المجلس النيابي في مصر لا من حيث الطبقة ولا من حيث الكفاءة ولا من حيث المزايا الاجتماعية أو الخلقية ، ولأن عدد الناخبين يغني فيه ألف كما يغني فيه عشرة آلاف ، إذا كان هؤلاء جميعاً على تشابه في العناصر الاجتماعية والمصالح الطائفية ، فيصح التمثيل القوي بالعدد القليل كما يصح بالعدد الكثير .

* * *

تلك هي عبرة المقابلة بين نظم النيابة في العهد الحاضر ونظم النيابة في عهد الاحتلال .

أما حركة الاستقلال فقد كان لورد كرومر حريصاً على تقرير الواقع في وصفها حين قال : « ... إذا قلنا إن الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست إلا حركة نحو الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه » ولعله لم يخالف الواقع كثيراً حين وصف تلك الحركة في أيامه فقال إنها مصبوغة صبغاً شديداً بصبغة الجامعة الاسلامية » ثم عاد فقال : « وإني على الرغم من جميع الظواهر لا أزال غير مقتنع بأن الميل إلى الجامعة الإسلامية متأصل كثيراً في الهيئة الاجتماعية المصرية . بل إني واثق أنه لو كان المصريون يعتقدون إمكان إخراج الآراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة إلى الفعل لانقلب الرأي السائد عليها انقلاباً عظيماً سريعاً ... » .

هذه التفرقة بين حركة الاستقلال وحركة الجامعة الاسلامية هي نظرة مشكورة من سياسي انجليزي لا يرضيه إعلان الحقيقة في هذا الموضوع على التخصيص ، ولكننا على يقين أن الجيل الذي انقضى بعد كتابة التقرير الكروميري قد فصل في هذه المسألة فصلا لا يجوز اللبس فيه . لأنه قد أبرز حب الاستقلال الوطني بمعزل عن العصبية الدينية . فلا يقال إن المصري يقبل الحكم الأجنبي من أبناء هذا الدين ويرفضه من أبناء ذلك الدين وإنما يطلب الاستقلال لأنه يؤمن بأن مصر للمصريين ، أيا كانت عقائد هؤلاء المصريين .

عباس محمود العقاد

من التاريخ الإسلامي :

حكاية الهميـــان . . !

للأستاذ على الطنطاوى

[كتبت بطلب من (محطة الشرق الأدنى)
لتذاع أول رمضان سنة ١٣٦٠]

كان أذان الفجر يصعد من مآذن الحرم فى مكة فى أول يوم من رمضان سنة أربعين ومئتين للهجرة ، فيهبط على تلك الذرى الباركات من قُعَيْقِعان وأبى قبيس ، فينساب مع نسيم السَّحَر رخياً ناعشاً ، يسحب ذيوله على تلك الصخور التى كانت محطة بريد السماء ، ومنزل الوحى ، ومنبع رحمة الله للعالمين ، حتى يمسح ستور الكعبة ، فيتنزل على من فى الحَرَم تَنَزُّل النفحات الالهية على قلوب عباد الله المخلَصين ...

وكانت صفوف المؤمنين قائمة للصلاة تدور بالكعبة من جهاتها كلها ، صفوفٌ فى الحرم ترى الكعبة وتنعم بالقرب منها ، وصفوف لا تراها ولكنها تتوجه إليها ، وتبصرها بقلوبها ، تقوم وراء الجبال الشمّ والبحار ، فى المدن والقرى ، والصحارى والسهول ، والأودية والقمم ، فى القصور والأكواخ ، والسجون والمنائر ، فى القفار المشتعلة حراً ، والبطاح المغطاة بالثلج . . تتسلسل وتتعاقب لا تنقطع ما امتدت الأرض وكان فيها مسلمون .

* * *

وأمّا أهل مكة الحرم ، ولم يبق فى داره إلا شيخ فى السادسة والثمانين ، وان محطم ما عليه إلا قميص مشدود بحبل ، وقاموا للصلاة ما يستطيعون الوقوف مما حشوا به بطونهم من طيبات الطعام ، من كل حلو وحامض ، وحار وبارد ، وسائل وجامد ، ووقف يصلى وما يستطيع القيام من الجوع ، فقد أمسك للصوم بلا سحور ، ونام ليلته البارحة بلا عشاء ، وأمضى أمسه من قبلها بلا غداء ... فلما قضى صلاته قعد فى محرابه منكسراً حزيناً ، وما كان يفكر فى نفسه فلقد طال عهده بالفقر حتى ألفه ، وهوّن إيمانه عليه الدنيا حتى نسى نعيمها وازدراها ، ولكنه كان يفكر فى هذه البطون الجائعة من حوله ، وهو كاسبها ومُعيلها ، وهذه المناكب العارية ... ولو كان فى مكانه رجل آخر قاسى الذى قاساه ، ورأى الأغنياء يبذرون المال تبذيراً ، ويضيعون الألوف فى الباطل على حين يحتاج هو إلى الدانق فلا يجده ... لثار على الدنيا ، وذمّ الزمن ، وحقد على الناس ، ولكنه كان رجلا مؤمناً موقناً أن الله هو الذى قسم الأرزاق فأعطى — لحكمة يعرفها — ومنع ، وأن الناس لا يملكون عطاء ولا منعاً ، وأن ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف .

فقال : إهْ . الحمد لله على كل حال !

وقام فنزع القميص ، ونادى : يا لُبابَة . فجاءت امرأة ملتحفة بخرقة قذرة ، فدفع إليها بالقميص وأخذ الخرقة فالتفّ بها ... فقالت المرأة : يا أبا غياث ، هذا ثالث يوم لم نذق فيه طعاماً ، وهذا يوم صيام وحرّ ... فاذا صبرتَ وصبرتُ أنا فان البنات والعجوز لا يقدرن على الصبر ، وقد هَدَّهُنّ الجوع ، فاستعن بالله ، واخرج فالتمس لنا شيئاً فلعلّ الله يفتح عليك بدوانق أو كُسَيرات ندّخرها لفطورنا .

قال : أفعل إن شاء الله .

* * *

وانتظر حتى علت الشمس وكان الضحى ، فخرج يجول فى أزقة مكة وطرقها ، وكان الناس قد انصرفوا إلى دورهم ليقيلوا فلم يلْقَ فى تطْوافه أحداً . واشتد الحرّ ، وتخاذلت ساقاه ، وزاغ بصره ، وأحسّ بجوفه يلتهب التهاباً من العطش ، وكان قد صار فى أسفل مكة فألقى بنفسه فى ظل جدار . وكان من أكبر أمانيه أن يدركه الأجل فيموت مؤمناً ، فيتخلص من هذا الشقاء وينال سعادة الأبد . وجعل ينكت التراب بيده ، وهو سادر فى أمانيه ، فلمس يدَه شىء مستطيل ليّن ، فسحبها ونظر فإذا هو بذنب حيّة مختبئة خلال التراب ، فتعوذ بالله ، ثم عاودته رغبته فى الموت ، وتمنى لو تلدغه فتريحه ، ثم ذكر أنه لا ينبغى للمؤمن أن يطلب الموت ، وإنما ينبغى له أن يقول : اللهم أحْيِنى ما كانت الحياة خيراً لى ، وأمتنى إن كان الموت خيراً لى . فقالها واستغفر الله . وعاد يرقب الحية فاذا هى ساكنة ، فعجب منها

ولمسها برجله فلم تتحرك فبحث عنها وحفر ، فاذا الذى رآه حزام وليس بحيَّة ، فشدَّه فجاء فى يده (همْيان) فيه الذهب ، عرفه من رنينه وثقله ، فأحسَّ كأن جوعه وعطشه قد ذهبا ، وكأن القوَّة قد صبَّت فى أعصابه ، والشبابَ قد عاد إليه ... وتصور أنه سيحمل إلى نسائه الشبع والدعة والراحة ، وعلا أيديهن مما كنَّ يتخيّلنه ولا يعرفْنه من نعيم الحياة ورغد العيش ، وجعل يفكر فيما يشتريه لهنّ ، وكيف يتلقين هذه النعمة التى ساقها الله إليهن حتى كاد يُخالَط فى عقله . ثم تنبه فى نفسه دينه ، وعلا صوت أمانته يقول له : إن هذا المال ليس لك . إنما هى لُقَطة لا بدَّ لك من التعريف بها سنةً فإذا لم تجد صاحبها حلَّت لك . وتصوَّرَ السنة وطولها وهو الذى يبحث عن عشاء يومه ... وهل يبقى حيًّا سنةً أخرى ؟ وهل تبقى أسرته فى الحياة ؟ وماذا ينفعه أن يكون الذهب له بعد ما مات من الجوع ، ومات معه من يرثه ؟ ... وأحسَّ كأن قواه قد خارت ، وودَّ لو أعاد الهميان إلى مكانه ، ولم يكن قد ابتلى بهذه البلية ... ولكنه كان رجلا فقيهاً يعلم أن اللقطة إن مُسَّت فلا بد من التعريف بها ، وإن هو أرجعها إلى مكانها وفقدت كان المسئول عند الله عنها ، أما إذا لم يمسّها فلا شىء عليه منها ...

وجعلت الأفكار تصطدم فى رأسه وتتراكض وتصطرع حتى شعر أن عظم صدغيه سيتكسر من قرع الأفكار المتراكضة فى رأسه ، وطفق يسمع صوتاً يهتف به أن : خذها فهى رزق ساقه الله إليك . ادفع بها الموت عن بناتك اللاتى أطاف بهنَّ الموت . أشبع بها هذه الأكباد الغرثى . اكْسُ هذه الأجساد العارية ، ثم إذا أيسرتَ رددتها إلى صاحبها ، أو دفعتها إليه ناقصة دنانير لن يضرّه على غناه نقصها . ثم يسمع هاتف دينه يقول له : اصبر يا رجل ولا تخن امانتك ، ولا تعص ربّك .

وعقد العزم على الصبر ، واستعان بالله ، وذهب إلى داره يخبّأ الهميان حتى يجىء صاحبه ... أو يحكم الله فيه ...

***

ودخل الدار متلمساً ، فرأته امرأته فقالت :

ما جاء بك يا أبا غياث ؟

قال : لا شىء . وأحب أن يكتمها خبر الهميان ، وما كان يكتمها من قبل أمراً .

قالت : بلى والله ؛ إنَّ معك شيئاً ، فما هو ؟

فخاف أن تراه فيُستطار لبّها ... فقص عليها القصة ، وكانت امرأة تقيَّة ديّنة ، ولكنها أضعف منه إرادة ، وأوهن عزماً ، فقالت :

افتحه ، وخذ منه دنانير اشترِ لنا بها شيئاً ، فإننا مضطرون والمضطر يأكل الميتة ...

قال : لا والله ، ولئن مسسته أو خبرتِ خبره أحداً فأنت طالق .

وتركها مغيظةً محنقةً وخرج يبحث عن صاحبه ، لعله يأخذ منه شيئاً حلالا يدفع به الضرَّ عن عياله .

***

ومشى إلى الحرم ، وكان فيه شاب طبرى طالب علم .

قال الشاب الطبرى : (فرأيت خراسانياً ينادى ، معاشر الحاج من وجد هميانا فيه ألف دينار فردَّه علىّ ، أضعف الله له الثواب . فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر ابن محمد ، فقال : يا خراسانى ، بلدنا فقير أهله ، شديد حاله ، أيامه معدودة ، ومواسمه منتظرة ، ولعله يقع فى يد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالا ، فيأخذه ويردّه عليك . قال الخراسانى : يابا . وكم يريد ؟ قال : العُشر ، مئة دينار . قال: يابا .لا نفعل ولكن نحيله على الله تعالى . وافترقا) .

قال الطبرى : (فوقع لى أن الشيخ هو الواجد للهميان فاتبعته ، فكان كما ظننت ، فنزل إلى دار مسفّلة زريّة الباب والمدخل ، فسمعته يقول : يا لبابة ! قالت : لبيك أبا غياث . قال : وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقاً . فقلت له : قيده بأن تجعل لواجده شيئاً ، فقال : كم ؟ قلت : عُشره . قال لا نفعل ، ولكنا نحيله على الله عز وجل ، فأيش نعمل ؟ لا بد لى من ردّه . فقالت له : نقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ، ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم) .

يا أبا غياث إن الله أكرم من أن يعاقب رجلا يحيى هذه الأنفس ، إنك لم تسرقه ولم تغصبه ، ولكن الله هو الذى وضعه

بين يديك ، فلا ترفض نعمة أنعم الله بها عليك ، إن الله يسألك عن هؤلاء النسوة ...

وتصور الشيخ بناته جائعات عاريات ، والعجوز المسكينة أم لبابة وقد جفّ جلدها على عظمها فصارت كأنها الحطبة الجوفاء تتردد فيها الأنفاس ، ففاضت نفسه رقة عليهن فسال دمعه على شيبته ، ورأت المرأة ذلك فازداد طمعها فيه ... ثم رأته يعبس وتبدو عليه الصرامة ... لقد ودّ لو استعان بشيء من هذه الدنانير ... ولكنه ذكر أنه صبر خمسين سنة فما كان ليضيع ذلك كله في لذة يوم ، وذكر أنه على شفير القبر وأنه سيلقى الله فما كان ليلقاه خائناً أمانته ، أما عياله فلهم الله ، والله أرأف بهم وأشفق عليهم ، وشدّ من عزمه ، وصاح بها :

(لست أفعل ، ولا أحرق حشاشتي بعد ست وثمانين سنة) .

قال الطبري : (ثم سكت وسكتت المرأة . وانصرفت أنا) .

* * *

وأذّن المغرب ، وقعد الشيخ ونساؤه على كسيرات وتمرات التقطها لهم ... وقعد الناس من حولهم على الموائد الحافلات بشهي الطعام ، تفوح من بيوتهم روائح الشواء والحلواء يأكلونها ويستمتعون بها ، وينسون أن رمضان شهر الإنسانية والإيثار ، وأن الله ما فرض علينا الصيام للجوع والعطش والعذاب ... ولكن ليذكرنا هذا الجوع الاختياري الموقوت أن في الدنيا من يجوع جوعاً إجبارياً لا حدّ له ينتهي عنده ، وليكون لنا من أعصابنا وجوارحنا مذكر بالاحسان . فمن يقعد إلى مائدته الحافلة بالطعام ، وجاره يتلوى من الجوع ، لا يفكر فيه ولا يشاركه طعامه فما صام ولا عرف الصيام ، وإن جاع نهاره كله وعطش ...

إن العادة تضعف الحسّ ، وإن إلف النعم يذهب لذتها ، فأوجب الله الصيام علينا لنذوق مرارة الفقر فنعرف حلاوة الوجدان ، ولنشتهي في النهار اللقمة من الخبز الطريّ ، والجرعة من الماء البارد ، فنعلم أن هذه اللقمة الطرية وهذه الجرعة الباردة نعمة من النعم فلا ندع الإحسان مهما كان قليلا ، ولا نزهد في صدقة نقدر عليها . ولقد كان لإبراهيم الحربي رغيف كل يوم ليس له سواه ، فكان يترك منه كل يوم لقمة حتى إذا كان يوم الجمعة أكل هذه اللقم وتصدق بالرغيف ...

كان الشيخ يفكر في هذا ، فيألم لما صارت إليه حال المسلمين ، ثم يذكر أن الله هو ملهم الخير ، ومصرّف الأرزاق ، فيحمده حمد رجل مؤمن راض ... وأمضى ليلته الرابعة بلا طعام ، لأنه ترك التمرات والكسيرات للعجوز والبنات يتبلغن بها ...

* * *

قال الطبري : « فلما كان من الغد سمعت الخراساني يقول : معاشر الحاج ووفد الله من حاضر وباد ، من وجد هميانا فيه ألف دينار وردّه أضعف الله له الثواب . فقام الشيخ إليه ، فقال : يا خراساني قد قلت لك بالأمس ونصحتك ، وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضرع ، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله يقع في يد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل، فامتنعت. فاجعل له عشرة دنانير منها فيرده عليك ويكون له في العشرة ستر وصيانة .

فقال له الخراساني : يابا . لا نفعل ولكن نحيله على الله عز وجل . ثم افترقا .

فلما كان اليوم الذي بعده سمعت الخراساني ينادي ذلك النداء بعينه ، فقام إليه الشيخ . فقال ، يا خراساني : قلت لك أول أمس العشر منه ، وقلت لك أمس عشر العشر ، عشرة دنانير فلم تقبل ، فأعطه ديناراً واحداً عشر عشر العشر، يشتري بنصف دينار قربة يسقي عليها المقيمين بمكة بالأجرة وبالنصف الآخر شاة يتخذها لعياله .

قال : يابا . لا نفعل ولكن نحيله على الله عز وجل .

فرأى الشيخ أن لا حيلة له فيه ، وانقطع آخر خيط من حبال آماله ، وتوهم حالة بناته وأختيه وزوجته وأمها ... وأن هذا الخراساني منعهم ديناراً واحداً من ألف يدفعون به الجوع والعري والموت الكامن وراءهما ، ورأى الألف كلها بيده فحدثته نفسه بأن يمسكها ، أو يدفعها إليه ناقصة ديناراً ، ولكنه ذكر الله والحساب فاستعاذ بالله من هذا الخاطر ، وهل يشترى الشقاء الدائم باللذة العاجلة ، وهو يعلم أن لذات الدنيا كلها لا تنسى كربة واحدة من كرب يوم الحشر ، وشقاءها كله تذهبه نفحة

واحدة من نفحات الجنة ؟ لا والله ، ولقد روى فى الحديث أن « من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه » ، فترك له الهميان ، وقال للخراسانى :

تعال خذ هميانك ...

فقال له : امش بين يدى ...

قال الطبرى : « فمشيا وتبعتهما ، حتى بلغا الدار . فدخل الشيخ فما لبث أن خرج ، وقال : ادخل ياخراسانى ، فدخل ودخلت ، فنبش الشيخ تحت درجة له فأخرج الهميان أسود من خرق غلاظ ، وقال : هـذا هميانك ؟ فنظر إليه ، وقال : هذا هميانى .

ثم حلّ رأسه من شدّ وثيق ثم صب المال فى حجره وقلّبه مراراً ، ثم قال : هذه دنانيرنا » .

وكانت لبابة والبنات ينظرن من شق البـاب إلى الذهب الذى نسين لونه وشكله ، وحسبنه قد فقد من الأرض ، كما ينظر الجائع إلى قدور المطعم ... يتمنى لقمة منها يشد بها صلبه ...

« وأعاد الرجل الذهب إلى الهميان وشدّه . ووضعه على كتفه وقلب خلقانه فوقه وخرج » . ولم ينظر فى وجه الشيخ ، ولم يلق فى أذنه كلمة شكر ... وأحست لبابة كأنه قد اختطف وحيدها ، وكأن شعبة انخلعت من قلبها ، فطارت وراءه ، وشُده البنات ، ولبثن مفتوحات الأشداق دهشة وذهولا ... فلما ابتعد وأيسن منه سقطن على وجوههن من الجوع والضعف واليأس ...

وسمع الشيخ حركة ، فنظر فاذا الخراسانى قد رجع ... فرفع إليه رأسه ينظر ماذا يريد ، وكان أولى به أن يعرض عنه ، وأن يبغضه ، وقد منعه ديناراً واحداً يحيى لو جاد به عليه هذه الأنفس المشرفة على الموت ، ولـكن الشيخ كان رجلا سمحاً لايتسع قلبه لبغضاء ، فقام إليه وسأله عما رجع به ، فقال الخراسانى:

« يا شيخ ، مات أبى وترك ثلاثة آلاف دينار ، فقال أخرج ثلثها ففرّقه فى أحقّ الناس عندك ، وبع رحلى واجعله نفقة لحجك ، ففعلت ذلك ، وأخرجت ثلثها ألف دينار ، وشددته فى هذا الهميان ، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى الآن رجلا أحق به منك ، فخذه بارك الله لك فيه .

ووضعه وولى » .

قال الطبرى : « وكنت قد ذهبت فما راعنى إلا الشيخ يسرع خلفى يدعونى ، فرجعت إليه فقال لى : لقد رأيتك تتبعنا من أول يوم ، وعلمت أنك عرفت خبرنا ، وقد سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول : سمعت مالـكا يقول : سمعت نافعاً يقول : عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر ولعلى رضى الله عنهما : إذا أتاكم الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلاها ، ولا تردّاها فترداها على الله ؛ فهى هدية من الله والهدية لمن حضر . فسر معى .

فسرت معه . فقال لى : إنك لمبارك ، وما رأيت هذا المال قط ، ولا أمّلته قط ، أترى هذا القميص ؟ إنى والله لأقوم سحراً فأصلى الغداة فيه ، ثم أنزعه فتصلى فيـه زوجتى وأمها وبناتى وأختاى واحدة بعد واحدة ، ثم ألبسه وأمضى أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم أعود بما فتح الله به علىّ من اقط وتمر وكسيرات كعك فنتداول الصلاة فيه ...

حتى إذا وصلنا إلى الدار نادى : يا لبابة يا كيتنه يا فلانة وفلانة ، حتى جئن جميعاً فأقعدهن عن يمينه ، وأقعدنى عن شماله ؛ وحلّ الهميان وقال : ابسطوا حجوركم ، فبسطت حجرى ، وما كان لواحدة منهن قميص له حجر تبسطه فمددن أيديهن ، وأقبل يعد ديناراً ديناراً ، حتى إذا بلغ العاشر قال ، وهذا لك ، حتى فرغ الهميان فنال كل واحدة منهن مائة دينار ، ونالنى مائة »

***

ولما أذن المغرب ، وحف نساء الشيخ بمائدة كموائد الناس ، عليها الطيبات من الطعام ، قال لامرأته :

أرأيت يا لبابة ؟ يا لبابة إن الله لا يضيع أجر الصابرين ، إن الله هو أرحم الراحمين يا لبابة ، لقد منعنا أنفسنا ديناراً حراماً ، فجاءنا الله بألف حلال . وأكل الشيخ لقيمات ، ثم قام ليخرج ، فقالت له امرأته :

إلى أين يا أبا غياث ؟

قال : أفتش ، فلعل فى الناس فقيراً صائماً ، لا يجد ما يفطر عليه ، فنشركه فى طعامنا .

من لغو الصيف :

صراصـــير ... !

للأستاذ سـيد قطب

— ٢ —

... لقيني صاحبي ذاك — أو صاحب البها زهير — على محطة سيدي جابر ، متهلل الوجه ، منطلق الأسارير ... قال : لقد وجدت لك داراً هادئة توافق أمثالك الشعراء !

قلت : خير وبركة ، وشكرت وانطلقت إلى الدار ولكن ما ذا ؟

يا لعنة الله ! أهذه هي الدار التي توافق الشعراء ؟ أهذا هو الشعر عندك يا صديق البها زهير ؟ يا رحمة للشعر والشعراء !

أيها القارئ :

أرأيت السراديب والكهوف ؟ أم هل سمعت عن السراديب والكهوف ؟ تلك هي الدار التي فهم صاحبنا أنها توافق أمزجة الشعراء !

تلك جناية بعض المتصعلكة على الشعر ، فلقد مرت فترة كان الشعر فيها هو البؤس ، أو هو التباؤس ، ولم يكن الناس يصدقون أن فلاناً شاعر إلا إذا بدا في مزق مهلهلة ، منتكث الشعر ، يضم تحت إبطه « رزمة » من ورق الصحف القديمة ، ويحشو جيوبه المزقة بخرق من الورق الخلق ، وقطع من علب السجائر وما إليها ، دوّن فيها شعره ، ولا بد أن يقول للناس : إنه جائع ، وإنه « خرمان » سجاير و « كيوفاً » أخرى ... وإلا فما هو بشاعر !

ووجد هؤلاء بعض من يعطف عليهم ، إما تظرفاً وتباهياً بالعطف على الشعراء ، وإما رحمة حقيقية لهذه الحال البائسة !

وكان هؤلاء البائسون ، أو المتبائسون ، يعيشون في جحور أو يقولون : إنهم يعيشون في جحور ، ويصفون « صراصيرها » وفيرانها وعنا كبها في كلام يهتز له بعض الناس — ولو لم يكن فيه شيء من الفن — لمجرد التظارف والتفكه ، ومن هنا اختار لي صاحب البها زهير ، تلك الدار ... !

* * *

الصراصير ...

ولكن ... أهذه صراصير ؟ !

إنني أعرف الصراصير جيداً ... أعرفها في حلوان ! فقد شاء السفه الذي يستحق الحجر من القضاء الشرعي ، أن تهمل هذه الضاحية الجميلة الفريدة بين بلاد العالم كله — كما يقول العارفون — بهوائها وتربتها ومياهها وارتفاعها ، حتى تصبح أكواماً من الأتربة ، ومجاري من القاذورات ، تسبح فيها وتعيش شتى الهوام والحشرات !

ومن هنا كانت صراصير حلوان ، تلك التي كتبت في شأنها على صفحات الصحف مرات ...

وقيل لي : اسكت فلا فائدة من الكتابة ، فرنين الكلمات غير رنين الجنيهات ، ومنطق العبارات غير منطق « الشيكات » . وهناك شركات أجنبية يهمها ألا تقوم لحلوان قائمة ، ومنطقها هو منطق الشيكات ، فأين يذهب منطقك أنت ، ولو كان هو منطق الحق والعدل والحياء ؟ !

زيل القصة :

قال الشيخ الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[1] :

« وقد نفعني الله بهذه الدنانير فتقوّتُ بها ، وكتبت العلم سنين ، وعدت إلى مكة بعد ست عشرة سنة فوجدت البنات ملكات تحت ملوك ، وعلمت أن الشيخ توفي بعد ما فارقته بشهور ، فكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأروي لهن القصة ، ويكرمونني غاية الاكرام .

وسألت عنهم بعد ذلك بأربعين سنة فعلمت أنه لم يبق منهم أحد ، رحمة الله عليهم جميعاً » .

علي الطنطاوي

(١) وجدت هذه القصة مخطوطة في مجموع من مجموعات المكتبة العربية في دمشق مروية عن الطبري بالسند المتصل وقد وضعت عبارة الأصل بين قوسين كبيرين

وسكتُّ من يومها وتركت أمر حلوان لله ، وليقظة الضمير العام ، حين يستيقظ ذلك الضمير العام !

المهم أنني في حلوان تعرفت على جميع «عائلات الصراصير» وصنوفها وأشكالها ، ولم أجد من بينها نظيراً ولا شبيهاً لصراصير تلك الدار التي اختارها لي صاحبي ، أو صاحب البها زهير !

وما هذا أنت الذي تبص وتتوارى في ثقب الجدار ؟ إنك لست بصرصار ... وإلا فأين خبرتي بكل صنوف الصراصير في حلوان ؟

أوه . . خيبة الله عليك ! هذا أنت « صرصار » عجوز ، فقد لونه الذهبي ، وفقد أحد شاربيه أيضاً ، وتقلص ظهره وانكمش وتضاءل ، حتى بدا في هيئة الخنفساء ! تعال هنا ... يا لعنة الله عليك ! أو هكذا تغشى فيك ، وتعبث بمعارفي كلها في عالم الصراصير ؟ !

***

لا يا عم ! لا يا صاحب البها زهير ، لا ويفتح الله ، لن أقيم في دار الصراصير هذه ، أو في دار الشعراء !

وكلها « فركة كعب » بين الصراصير وبعض الشعراء ، لا أولئك الشعراء البائسين أو المتبائسين الذين تحدثت عنهم في الفقرة السابقة ، ولكن هؤلاء الشعراء الذين كثروا في هذه الأيام ، شعراء الحفلات والمناسبات والسهرات والرحلات !

يا لعنة الله !

لقد كنا استرحنا فترة من « شعراء المناسبات » ، ففي عام ١٩٣٢ أخرجت كتيباً صغيراً اسمه « مهمة الشاعر في الحياة وشعراء الجيل الحاضر » ، وحملت فيه حملة شعواء على شعراء المناسبات ، أولئك الذين قلت عنهم : إنهم كخدم الفنادق يستقبلون كل قادم ويودعون كل راحل بنفس الابتسامة ، ويعدون أيام العظماء والمشهورين ليعدوا لهم — مقدماً — قصائد الرثاء ! إنهم يأكلون على كل مائدة كالقطط الضالة ! أستغفر الله ، بل كالصراصير !

لقد تطوروا أخيراً مع الزمن ، فلم يعودوا يقولون فقط في « مناسبات » التكريم والرثاء ، بل امتد رشاشهم .. فأصاب القمر وفصول السماء ! ... صراصير ! !

***

واخترت داراً أخرى غير دار الشعراء ! والدور في الأسكندرية كثير في هذا العام . إن « أغنياء الحرب » لم يزحموها تماماً . فالكثيرون قد ذهبوا إلى أوربا ولبنان ، وأغنياء الحرب الذين أعنيهم ليسوا هم الذين أغنتهم هذه الحرب وحدها ، فغيرهم كثير في تاريخ هذا الشعب قد اغتنوا في حروب ، حروب طويلة ، لا بين الدول ، ولكن بينهم وبين الشعب المصري المنكوب !

حروب الجشع والطمع ، والغدر والخيانة ، وحروب التسفل والتبذل ، ولو سن قانون : من أين لك هذا ؟ لتكشفت أشياء وأشياء !

كثيرون من هؤلاء يسمون « الطبقة الأرستقراطية » ووسائل إثراء الكثيرين منهم — على مدى التاريخ — مما يندى له الجبين ، بعضهم دفع أعراضاً ، وبعضهم دفع خدمات لا يقوم بها الشرفاء . ثم صاروا فيما بعد « أرستقراط » !

كثيرون من هؤلاء لم يزحموا الأسكندرية في هذا العام ، لأنهم في أوربا أو لبنان ، وقليلون منهم في الأسكندرية ، ولهم حديث خاص في « لغو الصيف » فلندعهم الآن !

***

واسترحت في الدار الجديدة شيئاً ، وأخذت سمتي إلى الشاطئ ... هذا هو البحر ، إنني أعرفه . هذه هي الحياة المرحة القوية تدب في أوصالي . هذا هو صدري المقوس ينشدّ لاستقبال هوائه الجذل ، هذه هي نفسي المنقبضة تتفتح لاستجلاء المنظر البهيج ، هذه هي أعصابي المكدودة تستروح وتنشط وتحيا ...

وعرائس البحر ... ؟

ويحي ! إنني لا أرى هنا عرائس ولا حتى شياطين .

إن العرائس والجنيات ، لأطياف هائمة طليقة ، خالصة من الضرورات والقيود . ولكني أحس هنا ثقل الضرورات وصلصلة القيود . هنا أجساد تشدها الغريزة ؛ هنا لحم . لحم فقط يكاد يتجرد من الروح . لحم قذر رخيص .

هنا صراصير !

محال أن تقنعنى أن هذه التى تتخلع مع زميلاتها ، وهى تقطع « البلاج » ذهاباً وإياباً بلباس البحر « المايوه » وكل ما فيها جسد يتخلج بالفرزة الهابطة ... وأن هذا الفتى الذى يتدسس بالنظرة الخائنة إلى مواضع الضرورة فى هذه الأجساد المتخلجة ، بينما يلقى بنظره متباهياً على مواضع الحيوانية فى جسده «بالمايوه» ... محال أن تقنعنى أن هؤلاء أو هؤلاء ، عرائس بحر ، أو — حتى « شياطين »

إن الشيطان لأنظف وأرشق وأخف ، وأكثر انطلاقاً من القيود ! هنا لحم . لحم فقط . لحم رخيص !

رخيص . فكثير من هذه الأجساد العارية يفقد حتى قيمة اللحم العزيز . لست أشك الآن فى أن الملابس من صنع حواء . فهذا التستر وهذا الخفاء هما مبعث الفتنة والأشواق — حتى الجسدية — وحين يتجرد الجسد نفسه يموت !

ولكن المرأة فى هذا الجيل تفقد حتى فطنة الفرزة وسلامتها . إنها الشهوة المريضة . شهوة الحيوان الضال الهزيل ، لا الحيوان الفاره الأصيل !

* * *

وبين يوم وليلة قدمنى أصدقاء إلى كثيرات ، وقدمتنى صديقات إلى كثيرين !

الإباحية ! التى لا تخجل ولا تستحى ولا تغار !

هنا الصداقات السريعة : يبدأ التعارف ضحىً . ويتم كل شىء فى المساء . وفى الصباح التالى يتفرق الجميع ؛ وتتبدد الصداقات ، كأن لم يكن هنا لك شىء . ويبحث الجميع عن شىء جديد !

سعار ... !

وفى المساء جلست أتناول طعامى . وعلى المائدة المقابلة جلس أربعة شخوص : إنهم لا يحوجون أحداً للتسمع . فالأصوات جهورية ، والضحكات رنانة .

هذه سيدة شابة ، خاتم الرباط المقدس فى يدها اليسرى . وهذه فتاة خاتم الرباط المقدس فى يدها اليمنى ... وما هذان ؟ ليسا زوجاً ولا خطيباً ، فأما بهما خلو من كل قيد !

وزجاجات البيرة ... والضحكات والغمزات ...

ويحى !

إن الرجلين ليطأطئان رأسيهما خجلا ، لنكتة خارجة ترسلها السيدة ، وتتضاحك لها الآنسة ... نكتة فى الصميم !

ولقيت سيدة بعد لحظات فلم أتمالك أن أقص عليها ما شهدت . سيدة من أسرة . لها زوج ولها عائلة وقالت تعلق على الحادث :

يا سيدى نحن فى المصيف ! إن أسخف سيدة هى التى تستصحب زوجها فى مصيفها ، ماذا تأخذ ؟ وماذا يستفيد ؟ يجب أن يذهب إلى مصيف وتذهب إلى مصيف ، لتكون هنالك قيمة للتصييف !

فلسفة المغامرة ! ومنطق الجموح !

* * *

رباه ! أتكون هذه هى مصر وأنا لا أدرى ؟ إننى رجل متخلف . لست — مع الأسف — من « التقدميين » فى هذا الجيل !

ولكن لا . إن مصر لشىء آخر . وإلا لانهارت إلى الحضيض . مصر لا تزال أمة . ولن تقوم أمة على هذا الأساس المنهار :

إنما هى حفنة من الرقعاء الذين لا أعراض لهم ، ظلوا يهتفون للمرأة بهذا النشيد : وأوتى بعضهم أقلاما وصحفا ، فلكى يرتموا فى كلأ مباح ومن أجل هذا الغرض الصغير ، حاولوا إتلاف أمة ، وإضاعة شعب . ولكن لم يستسلم لهم إلا عدد محدود ! عدد يطفو على سطح المجتمع كما تطفو الجيف فيتمتعن بنشر أسمائهن ونشر صورهن ... أما الحرائر فهن هنالك فى البيوت ، لا تقع عليهن أنظار هؤلاء الرقعاء ، ولا عدساتهم المصورة . ولا تلوك الألسنة أسماءهن فى هذا الجيل !

* * *

وأحسست أنى أختنق داخل الجدران ، فخرجت . خرجت إلى البحر والليل .. لا أحد هنا على « البلاج » ...

أيها البحر ... إنك هنا الشىء الوحيد النظيف ! .

سيد قطب

تاريخ جحا ...

للأستاذ كامل كيلاني

— ٢ —

٩ — شخوص محورة

وكما أسند القصصي الجحوى إلى جحا التركي ، ممثلا في الأستاذ نصر الدين ، أسند مثله — أو قريب — إلى جحا الألماني ممثلا في :

« تل أولنشبيجل »

أعني « تل » الملقب بـ « مرآة البومة » و « جحا » اليوناني ممثلا في « ديوجين » « Diogéne »

و « جحا » الفرنسي يمثله السادة : « دي كراك » مرة « M M de crac » و « دي لاباليس » « de la Palisse » مرة ثانية و « ميشيل موران » « Michel Morin » مرة ثالثة

وفي مرسيليا نرى « مسيو بونوس » « M Bonosse »

و « كالينو » « Calino » و « ماريوس » « Marius »

وفي باريس « دوق دي سان سيمون » « duc de saint simon »

وما إلى هذه الشخصيات الجحوية المتخيلة الفاتنة التي تشيع في أرجاء فرنسا وغيرها روح الدعابة البريئة والتهكم الساذج .

كما أسند إلى جحا الفارسي ممثلا في « طلحة » ، وجحا الهندي ممثلا في الشيخ تشللي ، وجحا الأرمني ممثلا في أرتين . وجحا الانجليزي يمثله في انجلترة « سمپل سيمون » « Simple Simon » .

وقد ذاعت في بريطانيا أسماء طائفة من القديسين ، افتن الظرفاء والمتظرفون في إسناد طرائف من الدعابة إليهم ، ونحلوهم ما شاء لهم الخيال الخصب من فنون الفكاهات الحلوة المحببة ، والنكات البريئة المستعذبة . فاشتهر في إرلندة « پات » وهو — كما يرى القارىء — ترخيم لاسم القديس « پاتريك » « Saint Patric » ، وقد كاد يصبح لقبا على كل إرلندي في معرض الدعابة والتنادر ، والتمثيل للسذاجة وطيبة القلب .

واشتهر في اسكتلندة « داود » « Saint David » وكاد يصبح علما على كل اسكتلندي ، وافتن المتخيلون في إسناد كل ما خطر ببالهم من نوادر البخل والتقتير .

واشتهر « اندراوس » « Saint Andreus » كذلك في جنوب انجلترة ، في بلاد الغال (الويلز) ، كما اشتهر جورج « Saint jeorge » في انجلترة .

وقد أصبحوا — على توالي الزمن — أعلاما للفكاهة والمرح في بلادهم ، ثم ذاعت بدائعهم في العالم ، فأشاعت في أرجائه ألوانا مشرقة من البهجة والسرور .

* * *

وليست شخصية « دون كيشوت » إلا لونا مبتدعا جديدا لشخصية جحا كما يتخيلها الأسبان .

وقلما تخلو أمة من مثال قريب أو بعيد لهذه الشخصية المرحة الطريفة ، وقد طوع القصاصون كثيرا من الطرائف والرموز الجحوية ، وفصلوا منها أنماطا فكرية ألبسوها عرائس أفكارهم وآرائهم .

ولم تلبث الصورة الجحوية على مدى الأزمان واختلاف الأمم التي تناقلتها أن تشكلت بألوان العصور والأمم التي قبستها . كما يتشكل الماء بلون الإناء الذي يستودع فيه .

١٠ — قبراه :

إن البحث ليطول إذا لم نوجزه إيجازا حتى ليضيق الوقت الفسيح بتفصيل قليل من كثير مما عرضنا له .

وبحسبنا أن نقرر الآن في هذه الإلمامة الخاطفة أن جحا التركي كاد يكون نسخة مكررة من جحا العربي ، وإن ضاع قبر الثاني فلم يعرف له مكان كما ضاع الكثير من آثاره فلم يهتد إليه . وبقي قبر الأول مزارا يحج إليه في مقبرة « آق شهر » .

١١ — من آراء الناس :

وقد غلا بعض الناس ، فكاد يلحق الجحيين كليهما

بالأولياء والأطهار والقديسين الأبرار .

وغلا آخرون ، فكادوا يتمثلون كليهما آية من آيات الغفلة والبله ، ومثلا من أمثلة الغباء والحماقة ، وتمثلهما آخرون نموذجا للخداع والتلبيس ورمزاً للغش والتدليس .

١٢ — مذهب « أبي الغصن » :

ومهما يكن من أمر ، فقد كان كلا الجحيين ذكيا بارعاً ، راجح العقل ، محدَّثا (أي : ملهماً صادق الفراسة) ، يتغابى في غير غباء ، ويتباله في غير بله ، ويمكر في غير خبث ، ليخلص من كيد الكائدين ، وينجو من بطش المتدين .

ورحم الله شوقي بك القائل :

«إذا الفتنة اضطرمت في البلاد ورمت النَّجاة، فكن إمَّعه»

(والإمعة كما تعلمون، هو الذي يقول لكل إنسان أنا معك)

وإليكم شعار الأول أعني شعار : « أبي الغصن عبد الله دجين بن ثابت » المعروف بجحا العربي ، وهو يلخص رأيه في الحياة أبدع تلخيص :

« مذهبي في الحياة صبر جميل ... هل ينجِّي من البلاء عويل
لم أضق بالحياة ذرعاً ، وعندي ... بسمات للخطب وهو جليل
لا أرى في الوجود إلا جمالا ... كل ما في الوجود حُسن أصيل
أضمر الصفح والمحبة للنا ... س ، إذا ما أساء باغٍ جهول
الأماني عـذبة أسعدتني ... فخيالي بهن حُلْم جميل
وحماقات من أرى أضحكتني ... وتمنّي بها غضوب ملول
إنما يغلب الزمان صبور ... واسع الصدر باسم بهلول
لا يهاب الخطوب إن دهمته ... سوف يتلو الأحزان أنس طويل
كل خطب إذا صبرت تولَّى ، ... وتجلى ، وكل حال تحول »

١٣ — مذهب نصر الدين :

وهو بهذا يلتقي مع فلسفة الأستاذ نصر الدين خوجة أو جحا التركي كما يسمونه ، الذي اتخذ شعاره في الحياة قوله :

« مذهبنا أن نتسلى بالحياه
بما نلاقي من سرور وأذاه
فالكون محبوب بهيج ما حواه
وما نرى إلا جميلا ما نراه »

١٤ — تشابه المذهبين :

على أن كلا الجحيين كان كما يقول فيلسوف المعرة :

« إذا سألوا عن مذهبي فهو بين ... وهل أنا ، إلا مثل غيري أبله
خلقت من الدنيا، وعشت كأهلها ... أجدُّ كما جدُّوا، وألهو كما لهوا»

فقد أحسن المعري التعبير عنهما ، بهذين البيتين ، وإن كان يفصله زهاء قرنين من الزمان بعد مولد أولهما وثلاثة قرون قبل مولد الآخر منهما . وكأنما ألهما المعري قوله :

«إن جدَّ عالمك الأرضي في نبأ ... يغشاهم ، فتمثل جدَّهم لعبا »

وقوله :

« تَرَجَّ — بلطف القول — ردّ مخالف ... إليك ، فكم طِرْف يسكَّن بالنَّقر »

١٥ — تشابه الرجلين :

لقد تشابه الجحيان — كما أسلفت لحضراتكم — كما تشابه الموز أو البرتقال في رأى بعض الشعراء حين قال :

« ... ... فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا : مطعم طيب ... فيه ، وإلا مشرب سائغ »

تشابه الرجلان وامتزجت آثارهما ، بعضهما ببعض ، كما امتزجت — بعد ذلك وقبله — بالكثير من آثار غيرهما من الشخصيات الجحوية وما إليها . وما أضيف عليها مما تخيله المتخيلون ، وانتحله المنتحلون ، حتى أصبحت كلمة « جحا » الآن كافية للتعبير عن كل جحا ، في كل عصر ، وفي كل أمة ، كما أصبحت كلمة « خرافة » أيضاً كافية للتعبير عن كل حديث خيالي لا حقيقة له : قديماً كان أو حديثاً ، رائعاً أم سخيفاً ، عربياً أم أعجمياً ، شرقياً أم غربياً ، وقد أصبح الرمز الجحوي — على توالي الأجيال — أشبه بالرمز الجبري ، فإن « س » تارة تساوي مليوناً من الجنيهات ، وتارة تساوي عشر تفاحات ، وثالثة ست دجاجات ، ورابعة صفراً .

وقد ألف « كارليل » — فيما يعلمه الكثيرون منكم — كتاب الأبطال ، فتحدث عن البطل في صورة نبي ، والبطل في صورة زعيم ، والبطل في صورة قائد ، والبطل في صورة شاعر وهكذا . . .

وسيرى المتتبع لتاريخ جحا وما نسب إليه من أخبار كيف سلك المتحدثون عنه مثل هذا المنهج ، أو قريب :

فمثلوا لنا جحا فى صورة فيلسوف ، وجحا فى صورة أبله ، وجحا فى صورة قاض ، وجحا فى صورة متقاض ، وجحا فى صورة سارق ، وجحا فى صورة مسروق ، وجحا فى صورة ذكى وجحا فى صورة غبى ، وجحا فى صورة فقير ، وجحا فى صورة غنى ، وهكذا .

وقد أصبحت كلمة « جحا » كافية فى التعبير عن هذا كله — كما ترون — فلا غرو إذا اجتزأنا بها فى الحديث اقتصاداً للوقت ، واختصاراً للبحث فى التفاصيل المسهبة ، والشروح المستفيضة التى عرضنا لها فى غير هذا المقام .

كامل كيلانى

صور من العصر العباسى :

الخلفاء العباسيون والهدايا

للأستاذ صـــلاح الدين المنجد

— ١ —

درج الناس فى العصر العباسى على تقديم الهدايا للخلفاء ، ونلاحظ أن هذه الهدايا كانت تقدم فى النيروز والمهرجان ، وفى الفصد ، وفى العودة من الحج ، هذا عدا الهدايا التى كانت تحملها الرسل الواردة على الخليفة من الولاة والأمراء ، أو من ملوك الروم

أما الهدايا فى النيروز والمهرجان ، فعادة فارسية أخذها العرب عن الفرس منذ فجر العصر الإسلامى . ويقول الجاحظ إنها كانت معروفة زمن معاوية ، وظلت كذلك طول عهد الأمويين ، حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأبطلها . فلما دالت دولة الأمويين ، وقامت دولة العباسيين ، عادت هذه العادة إلى الناس ، وصارت فرضاً عليهم نحو الملوك

ويبين الجاحظ العلـة فى تقديم الهدايا فى النيروز والمهرجان فيقول : « وإن من حق الملك هدايا المهرجان والنيروز ، والعلة فى ذلك أنهما فصلا السنة ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد ، والنيروز إيذان بدخول فصل الحر »

« ومن حق الملك أن تهدى إليه الخاصة والعامة ، والسنة فى ذلك عندهم أن يهدى الرجل ما يحب من ملكه إذا كان فى الطبقة العالية ، فإن كان يحب المسك أهدى مسكا لا غيره ، وإن كان يحب العنبر أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزّة ولبسة أهدى كسوة وثياباً ، وإن كان من الشجعان والفرسان ، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ، وإن كان من عمال الملك ، وكانت عليه متأخرات أو بقايا للسنة الماضية جمعها وجعلها فى بدر حرير صينى وشريحات فضة وخيوط ابريسم ... ثم وجهها . وكان يهدى الشـاعر الشعر ، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والبا كورة من الخضروات . وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثرنه . ويجب على المرأة من نساء الملك إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها ، أن تهديها إليه بأكمل حالاتها ، وأفضل زينتها ، وأحسن هيأتها . فإذا فعلت ذلك ، فن حقها على الملك أن يقدمها على نسائه ويخصها بالمنزلة ويزيدها فى الكرامة[1] » .

وعاد الجاحظ فى المحاسن والأضداد ففصل ما أجمل . قال : وجعلوا شعارهم : كل يهدى على قدره . فكان القواد يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة . والكتاب والوزراء والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر ، وجامات الفضة الملوحة بالذهب . والعظماء والأشراف يهدون البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود . وربمـا أهدى الرجل الشريف سوطاً . وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر ، وأصحاب الجوهر الجوهر ، وأصحاب نتـاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر . والظراف قرب الحرير الصينى مملوءة ماء ورد. والمقاتلة القسى والرماح والنشاب . وكانت نسوة الملك تهدى إحداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائعة ، والأخرى الدرة النفيسة والجوهرة الثمينة ، وفص خاتم ، ومالطف وخف . وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والديباج وغير ذلك

(١) انظر التاج ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

والصيارفة نقر الذهب مملوءة بالفضة ، وجامات الفضة مملوءة دنانير[١] .

وكان للهدايا كاتب خاص ، يكتب اسم كل مهد ، وجائزة كل من يجيز الملك على هديته ليودع ديوان النيروز[٢] مهما كان شأن الهدية ، صغرت أم كبرت ، كثرت أم قلت . فإذا أهدى أحدهم الملك هدية ، ثم لم يخرج له من الملك صلة ، عند نائبة تنوبه ، أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويذكر بنفسه[٣] .

ويذهب آدم متز إلى أن المهرجان كان يمتاز خاصة بأن الرعية يهدون فيه إلى السلطان[٤] ، ولا وجه لتمييز المهرجان من النيروز وقد رأيت أن الجاحظ جعلهما سواء ، وذكر هدايا المهرجان ، وهدايا النيروز[٥] . وقد كان النيروز عيداً قومياً ، يحفلون به حفلهم بعيد الفطر ، ويتبارون فيه بالقصائد والهدايا[٦] .

* * *

ولنر الآن أنموذجات من هذه الهدايا ، في ضروبها وأصنافها .

فقد أهدى المنصور الوصائف من الرجال . حدث الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنت في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، ففرقنا في خدمته[٧] .

وأهدت جارية إلى المهدي تفاحة ، فأعجب بهذه الهدية وقال :

تفاحـــة من عند تفاحة جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدري أأبصرتها يقظان أم أبصرتها في الرقاد[٨] ؟

ولما عشق أبو العتاهية عتبة ، جعل هديته إلى المهدي وسيلة لوصالها . فقد ذكر المبرد أن أبا العتاهية استأذن في أن يطلق له أن يهدي إلى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان . فأهدى له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم وطيب ، قد كتب على حواشيه :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله ، والقائم المهدي يكفيها
إني لأيأس منها ثم يطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها[١]

وحدث ابراهيم بن المهدي قال : كنت عند الرشيد ، فأهديت له أطباق ومعها رقعة . فلما قرأها استفزه الطرب . فقلت : يا أمير المؤمنين ما الذي أطربك ؟ قال : هذه هدية عبدالملك بن صالح . ثم نبذ إلى الرقعة فإذا فيها : « دخلت يا أمير المؤمنين بستاناً أفادنيه كرمك ، وعمرته بنعمتك ، وقد أينعت ثماره وفاكهته . فأخذت من كل شيء وصيرته في أطباق القضبان ، ووجهته لأمير المؤمنين ليصل إلى من بركة دعائه ، مثلما وصل إلى من بركة عطائه[٢] » . قلت وما في هذا ما يقتضي هذا السرور . قال ألا ترى إلى ظرفه كيف قال القضبان ، فكنى به عن الخيزران إذ كان يجري به اسم أمنا .

ثم كشف المنديل فإذا بعضها فوق بعض ، في أحدها فستق وفي الآخر بندق إلى غير ذلك من الفاكهة[٣] .

وأهدى أحمد بن يوسف للمأمون مرة ثوب وشي[٤] . وأهدى إليه مرة ثانية طبق جزع عليه ميل من ذهب فيه اسمه منقوش . وكتب إليه : «هذا يوم جرت فيه العادة ، بإلطاف العبيد السادة ، وقد أرسلت إلى أمير المؤمنين طبق جزع فيه ميل[٥] » .

وأهدى عبد الله بن طاهر له فرساً ، وكتب إليه : « قد بعثت إلى أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب في الصعداء ، ويجاوز الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جري الماء[٦] » .

وهدية الخيل كانت معروفة من قبل . فقد أهدى الحجاج إلى عبد الملك فرساً[٧] ، وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر[٨] .

ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه الناس على أقدارهم

(١) المحاسن والأضداد ص ١٩٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٩ .
(٣) التاج ص ١٤٩ .
(٤) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٤٨ .
(٥) المحاسن والأضداد ص ١٨١ .
(٦) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٠٢ .
(٧) الأغاني ج ٦ ص ٨٢ .
(٨) عيون الأخبار ج ٣ ص ٣٩ .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٦
(٢) مطالع البدور ج ٢ ص ١٢٦ .
(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٠
(٤) وفيات ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٥) زهر الآداب ج ٢ ص ١٠٠
(٦) زهر الآداب ج ٢ ص ٣٠ .
(٧) المصدر السابق ص ١٩ .
(٨) المصدر السابق ص ٢١ .

المخـــدرات ...!

بين الأدباء والعلماء

للدكتور فضل أبو بكر

سأتناول من هذه المواد الغريبة أهمها وأكثرها استعمالا ، وأعنى بذلك الأفيون والحشيش . وسميت بالمخدرات لأن من أخص مميزاتها تخدير الآلام الجسمية والنفسية . كذلك يسمونها « المذهلات » Stupifiants لما تسببه من ذهول « وسطل » ، وهو الإسم الذى تعرف به فى علم الأدوية والعقاقير

هى قديمة كالأزل عرفها الإنسان منذ أقدم العصور ، وقد ذكر هوميروس نبات الأفيون فى إلياذته . كذلك أبو قراط إله الطب عن قدماء الإغريق كان يستعملها فى العلاج لبعض الأمراض مثل الهستريا التى كان يظن من مسبباتها عند النساء نزول الرحم والأمعاء وهبوطهما من المكان الخاص بهما فى البطن . وقد حذا حذوه فى استعمال الأفيون — بقصد العلاج — بعض أطباء الإغريق والرومان ، ونذكر من الأخيرين « أندروماكلوس » Andromaclus طبيب نيرون الخاص كان يستعمله مع بعض العقاقير كمخدر وكنوع من الترياق . كذلك أطباء العرب وصيادلتهم مثل ابن البيطار الذى فند تعاليم جالينوس والذى يدين له علم الأدوية والعقاقير بالشئ الكثير . أما ابن سينا ومن انتمى إلى مدرسته من الفلاسفة والعلماء ، فقد استعملوه بكثرة فى الأدوية والعلاج .

أما فى القرون الوسطى فقد قل نسبيا استخدام الأفيون فى العلاج . واستمر الحال كذلك إلى أواخر القرن السابع عشر فقد هيئ له أن يبعث من جديد على يد الطبيب المعروف « سيدنهام » « Sydenham » إذ خلط منقوع الأفيون — المنقوع فى الكحول — بالزعفران والقرفة والقرنفل وركب منها خليطاً مشهوراً باسمه ولا نزال يستعمل ليومنا هذا ضد بعض حالات

وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف ، وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس . فحسن موقعها من المتوكل ، وحلت من قلبه محلا جليلا[1] .

وبعث الحسن بن وهب إلى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من عنبر[2] .

وأهدى إليه خالد المهلبى فى يوم نيروز ثوب وشى منسوجا بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ، ودرعاً مضاعفة ، وثوباً بغدادياً فأعجبه حسنه ، ثم دعا به فلبسه . وقال : يا مهلبى إنما لبسته لأسرك به ، فقال يا أمير المؤمنين : لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك ، فكيف وأنت سيد الناس[3] ؟

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٠ .
(٢) المحاسن والأضداد ص ١٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨١

وذكروا أنه كان للمتوكل جارية اسمها شجرة الدر . وكان يميل إليها ميلا كبيراً ويفضلها على سائر حظاياه . فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن فى ذلك ، فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية ، على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ، ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفى يدها قضيب ذهب فى رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياه ، وقد سر بالهدية ، ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه . فحسدنها وعملن على قتلها بشئ سقينه لها فماتت[1] .

وإلى جانب هذه الألوان من الهدايا كانوا يهدون الطين . قال الثعالبى : وكانوا يهدون طين نيسابور ، وهو طين الأكل لا يوجد مثله فى الأرض ، يحمل إلى أدانى البلاد وأقاصيها ، ويتحف به الملوك ، وربما بيع الرطل منه بدينار[2] .

(له بقية) صلاح الدين المنجد

(١) مطالع البدور ج ٢ ص ١٣٦ .
(٢) ثمار القلوب ص ٤٢٨ .

الإسهال وآلام البطن . وقد قال فى ذلك الطبيب سيد نهام إنه لولا الأفيون لصار الطب ناقصا أجدع .

أما الحشيش فقد عرف كذلك منذ آباد وأجيال سحيقة ؛ فالهنود والصينيون كانوا يتعاطونه منذ أقدم العصور . وقد أدخله إلى بلاد الغرب بعض قبائل البدو والرحل الذين كانوا يقطنون شمال أسيا والجزء الواقع فى الشمال الشرقى من أوربا . وقد روى « هيرودوت » المؤرخ أن تلك القبائل كانت تغلى بذور فاكهة الأفيون فى الماء وتستنشق البخار المتصاعد ثم تحتسى فى نشوة عجيبة منقوع هذه البذور .

وأول من عنى بدراسة الحشيش من الوجهة العلمية هما الطبيب الألمانى « مارشال » والطبيب الفرنسى « مورو دى تور » الذى كان مديراً لمستشفى الأمراض العقلية والعصبية فى باريس والذى كتب فى سنة ١٨٤٥ مؤلفاً نفيساً سماه « الحشيش والجنون » يصف فيه خواص الحشيش وأثرها فى الجهاز العصبى ، وقد تعاطى هذه المادة وجرب أثرها فى نفسه . وقد قيل فى المثل «سل المجرب ولا تسل الطبيب » فقد كان مجرباً وكان طبيباً فلا غرابة أن كان مؤلفه مصدراً موثوقاً به فى هذا الصدد .

الأدباء والمخدرات :

كان بعض الأدباء يتعاطى هذه المواد ووجدوا فيها إلهاماً وإيحاء ووصفوا مفعولها وصفاً رائعاً يشوبه الخيال وما يمليه من مبالغات تنافى بعض الشيء صرامة العلم ودقة العلماء . ومن هؤلاء الأدباء الأديب والشاعر الفرنسى « شارل بودلير » الذى عاش إلى سنة ١٨٦٧ وهو من أعظم شعراء الغرب وأشبههم من حيث الرقة والظرف والمجون بأبى نواس؛ فقد ورد فى بعض مؤلفاته — واسمه « الفردوس الاصطناعى » — وصف الحشيش؛ فتأمله إذ يقول: «إن فى الإنسان رغبة مستأصلة لإدراك المثل العليا والوصول إلى الحقيقة ؛ لذلك يحاول ما أمكنه أن يخلص الروح ويطلقها من سجنها المادى العائق لها عن الوصول لهذه الأهداف . كذلك السعادة هى الضالة المنشودة لبنى الإنسان؛ وبما أنها ليست فى متناول الجميع فهو يحاول ما أمكن أن يتوهمها ويصطنعها : فقدح من مدام وشهقة من تبغ ومضغة من عشب (الحشيش) بهذا فقط تجد الروح تخلصت وتبدلت » .

أما الكاتب الفرنسى المشهور « تيوفيل جوتيبه » الذى عاش إلى سنة ١٨٤٣ فقد ألف كتاباً سماه « نادى الحشاشين » يصف فيه مفعول الحشيش وأثره فى نفسه فيقول: « ما هى إلا بضع دقائق حتى استولى على جسمى التخدير ، وخيل إلىّ أن جسدى قد ذاب وانحلت مادته وصار شفافاً ، فأبصرت قطعة الحشيش التى مضغتها تنزل هابطة فى أحشائى كأنها زمردة تشع منها الملايين من أجسام ذرية لامعة ؛ وتراءى لى أن هدب عينى يطول ويمتد إلى اللانهاية ثم يطوى كأنه أسلاك رفيعة من الذهب ويلتف حول عجلات صغيرة من العاج تدور حول نفسها بسرعة مدهشة ، وقد اكتنفتنى نهيرات من لجين تكدست على شواطئها أكوام من الحجارة الكريمة من مختلف الأشكال والألوان . وبعد فترة قصيرة تبددت عنى هذه الأحلام ، وعدت إلى صوابى من غير ما خمول أوصداع كايعقب عادة شرب الخمر . وقد هالنى كثيراً ما رأيت . وما كادت تمضى نحو نصف ساعة حتى عاودتنى النشوة وتهت فى ملكوت الحشيش . غير أن أحلامى فى هذه المرة كانت أشد غرابة وأكثر تعقيداً . فقد أحاطت بى هالة من نور يأخذ وميضه بالأبصار ، وتطير حول هذه الهالة ملايين من الفراش لها أجنحة ذات ألوان مختلفة تسر الناظرين ، وسمعت لأول مرة صوت الألوان المختلفة . فهنالك صوت أصفر وأزرق وأخضر وأحمر؛ وهذه الأصوات اللونية تصل موجاتها إلى أذنى فى وضوح تام . كذلك رأيت أكثر من خمسمائة ساعة دقاقة تنبىء عن الوقت بدقات أشبه بأهازيج العود والمزمار وقد ذابت نفسى فى اللانهاية ، وخيل إلى أن هذا الحلم إنما دام نحو ثلثمائة عام ، وإن كان من المستحيل تقدير الزمن على وجه التحقيق إذ كانت المناظر تتتابع وتتنوع بسرعة ، وما إن عدت إلى رشدى حتى رأيت أن هذا الحلم لم يدم أكثر من ربع ساعة » .

ومن أدباء الانجليز أذكر « توماس دى كنسى » وكان يعنى كثيراً بدراسة « الكلاسيك » من الأدب الأغريقى والرومانى القديم ، وقد ألف كتاباً بعنوان « اعترافات مدمن فى الأفيون » فتأمل حين يناجى المدمن مخدره العزيز :

« أيها الأفيون أنت الحق والحقيقة ! أنت حياة المحتضر

ومال الموز وسعادة الشقى والخالق من الشجى خلياً ! أنت ملهم البيان ! أنت الذى تذكر المجرم والقاتل أيام الطفولة الغريرة حيث لا جريمة ولا جريرة ! أنت الذى تشيد فى غسق الظلام قصوراً وبنياناً أكثر سحراً من بنيان بابل وطيبة » .

كذلك الشاعر الانجليزى « كولردج » وقد كان ممن يتعاطونه من وقت لآخر بقصد التنبيه ونشاط القريحة ، وقد كتب قصيدته « كبلخان » بعد أن تعاطى ماتيسر من الافيون وهى تعد من أرق أنواع الشعر وأرقاه معنى .

أما أثر هذه المواد من الوجهة الطبية والفسيولوجية فها كها باختصار كما يلى :

١ — تخدر الأعصاب ، ولذا كان لها تفوق كبير فى تسكين الآلام الناشئة من الأمراض . كذلك من خواصها التنويم ، ولكنه نوع خاص من النوم يمتاز بانحلال عام وتراخ فى العضلات تتخلله أحلام هنيئة ومتنوعة . أما من الوجهة النفسية فهى تساعد على حضور البديهة وسرعة الخاطر ، ويلى ذلك شىء من التهيج واضطراب الأفكار بطرأ تدريجياً وحسب كمية المخدر . أما أثره على الجزء الخاص بالتحرك من الجهاز العصبى فهو أقل بكثير من أثره على الجزء الموكل بالحس والشعور .

٢ — تنقص جميع الافرازات الخاصة بالجهاز الهضمى فيعيق الهضم ويعطله كما يقل من حدة الشهية ، ويساعد على الإمساك . كذلك له مفعول سىء على الكبد الذى يعد أهم عضو لمكافحة السموم الطارئة على الجسم من الداخل ومن الخارج .

٣ — تساعد المخدرات على التنفس لذلك تستعمل فى بعض أمراض الصدر والقلب التى تسبب حصراً وضيقاً فى التنفس مثل الربو والنزلات الشعبية والأزمات القلبية والرئوية .

٤ — تنقص المخدرات من كمية البول لأنها — كما أسلفنا — تقل من جميع الافرازات ما عدا الافراز العرقى فهى على النقيض تكثره وتنشطه . أما الجهاز التناسلى فقد تسبب تهيجاً جنسياً ، ولكن إلى حين وفى بادىء الأمر فقط ، ولكن هذا التهيج وتلك الاثارة يعقبها خمول وضعف فى الرغبة الجنسية .

هذه نبذة موجزة عن بعض المخدرات عالجت موضوعها باختصار من الوجهة التاريخية والأدبية والعلمية .

فضل أبو بكر

القوة فى نظر العـــلم

للأستاذ محمد عاطف البرقوقى

العلماء والقوة :

نشأ الإنسان فى الحياة ووجد أنه فى كل شئونه يحتاج إلى القوة ، ففى إعداد طعامه كأن يخرج إلى الصحارى والغابات ليصطاد فريسته ، فكان مضطرا إلى حملها بنفسه ليعود بها إلى داره ، وفى هـذا لا تنجح إلا القوة العضلية ، وفى البناء كان قدماء المصريين يشيدون الأهرام والمعابد والقبور ، وكانوا يستخدمون الإنسان فى حمل أثقل الأحجار ونقل التماثيل من مكان إلى آخر ، ومن ذلك أنهم استخدموا عشرة آلاف رجل لتشييد الهرم الأكبر ، يستبدلون كل ثلاثة أشهر ولمدة عشرين عاما ، وذلك رغم استخدام الروافع والعربات والسفن .

وإذا ما تلفت الإنسان حوله وجد مظاهر القوة بادية ، فقوة الريح تعصف بالأشجار فتكسرها ، والماء الجارى يجرف المبانى فيهدمها ، والأجسام تسقط نحو الأرض بفعل قوة ، وهى قوة الجاذبية الأرضية ، والمد والجزر أثران من آثار القوة ، والكواكب السيارة تدور وتتحرك نتيجة قوة ، فلفت ذلك نظر العلماء ، فاهتموا بدراسة القوة وآثارها ، منهم العالم الايطالى غاليليو الذى اهتم بدراسة حركة الأجسام الساقطة تحت تأثير جاذبية الأرض وتبعه العالم الانجليزى سير اسحق نيوتين (١٦٤٢ — ١٧٢٧) الذى وضع القوانين التى تربط بين القوة والحركة والقوة والكتلة ، ودرس حركة الكواكب السيارة فهو يعتبر بحق واضع أساس علم الميكانيكا وعلم الفلك ، وتبعه علماء كثيرون درسوا القوى الناتجة من الهواء والماء والبخار والكهربا .

القوة والحركة :

ومهما اختلف مصدر القوة فإن هناك علاقة كبيرة بين القوة والحركة ، فأينما وجهت النظر إلى قوة من القوى وجدتها يصحبها حركة من الحركات ، فالسيارة تبقى ساكنة ما لم تستخدم القوة الناتجة من احتراق بخار البنزين ، والقاطرة لا تتحرك إلا بقوة البخار ، وكلما زادت القوة زادت الحركة ، وعندما توقف القوة فعندئذ تقل الحركة إلى أن تنعدم ، وانعدام الحركة فى الواقع ناتج من قوة هى قوة الاحتكاك بين العجلات والأرض ، فالقوة تحرك الجسم الساكن أو تعدم حركة الجسم المتحرك . وقد وضع العالم الانجليزى نيوتن ثلاثة قوانين فى علم « الميكانيكا » تسمى قوانين نيوتن فى الحركة ، أولها : « أن الجسم يبقى ساكنا أو متحركا بسرعة منتظمة فى خط مستقيم مالم تؤثر عليه قوة » ، فالجسم الساكن لا يتحرك إلا بتأثير قوة ، فاذا قربت مغناطيسا من إبرة من الصلب أو الحديد ساكنة تحركت بتأثير القوة المغنطيسية .

وإذا شاهدنا جسما متحركا بغير سرعة منتظمة حكمنا على أن هناك قوة محركة ، وهكذا استنبط العلماء قوة جاذبية الأرض بملاحظة سقوط الأجسام نحو مركزها

قوة الاحتكاك :

ونلاحظ أنه إذا رمينا كرة من الزجاج ناعمة على أرضية ملساء فإنها تستمر بسرعتها المنتظمة فى خط مستقيم ، وحسب قانون نيوتن إذا لم تؤثر عليها قوة فإنها يجب أن تستمر إلى ما لا نهاية كما يقول العلماء ، ولكن من الناحية العملية تقل سرعتها تدريجياً حتى تصل فى النهاية إلى السكون ، وذلك لأنه توجد قوة تغير من حالتها هذه إلى السكون ، وهذه القوة هى التى نسميها قوة الاحتكاك بين أى جسمين ، وهى صغيرة بين جسمين ناعمى الملمس وتزداد كلما زادت خشونة الجسمين وكتلة الجسم المتحرك ، فإذا رميت كرة ثقيلة من الحديد على أرضية خشنة وقفت حركتها بسرعة قوة الاحتكاك بينها وبين الأرض . وفى الواقع أن قوة الاحتكاك هذه تسبب ضياع نسبة لا يستهان بها من الطاقة للتغلب عليها سواء أكانت فى حركة القطارات أم السيارات أم فى إدارة الآلات

القوة الطاردة أو القوة والدوران :

الجسم المتحرك يميل إلى الحركة فى خط مستقيم ، فكثيراً

ما نلاحظ أن السيارة المتحركة بسرعة كبيرة إذا ما فوجىء سائقها بجزء منحن من الطريق فإنه على الرغم من عمــل مجهود كبير لإدارة عجلة قيادة السيارة فإنها تعصى سائقها وتسـير فى خط مستقيم ، فيؤدى ذلك إلى ملاقاة حتفها ... إما بالغرق إن كان الطريق بجوار ترعة وإما الاصطدام وإما بالخروج عن الطريق على أية حال ، وكل ذلك لميلها للسير فى خط مستقيم ، وإذا ربط ثقل فى طرف خيط وحرك الخيط باليد ليدور الثقل فى مسار دائرى حول اليد ، فإن الثقل لا يسقط نحو الأرض بتأثير جاذبية الأرض له بل يدور بفعل قوة مركزية ، وإذا قطع الخيط فإن الثقل عندئذ يتحرك فى خط مستقيم من حيث أوقف تأثير هذه القوة المركزية

وإذا كان الثقل عبارة عن « كوز » به ماء وأدير الـكوز بالماء فإن الماء لا يسقط وذلك لأنه توجد قوة مركزية طاردة أى تحاول أن تطرد الماء نحو الخارج فيعوق قاع الإناء ، ذلك وفى الصناعات يستخدمون هذه القوة فى نواح شتى ، ففى محال غسيل الملابس ، يضعـون الملابس المبللة بالماء فى إناء كبير يدور ، فبدورانه تؤثر فيه قوة طاردة تطرد المـاء من ثقوبه إلى الخارج فتعصر الملابس بطريقة سريعة ، وفى محال الألبـان الـكبيرة يستخرجون القشدة من اللبن وهو طازج بأن يضعوا اللبن الحليب فى إناء ويدار بسرعة فتنفصـل القشدة عن اللبن بتأثير القوة الطاردة .

وراكب الدراجة عند دورانه يجب عليه أن يميل بجسمه إلى داخل الدوران حتى لا تدفعه القوة الطاردة إلى الخارج فيقع ، ويخشى أثر هذه القوة فى القاطرات والطائرات ، فالقاطرات عند دورانها يجب أن يكون القضـيب الخارجى أعلى من القضيب الداخلى حتى تميل القاطرة عند دورانها إلى الداخل ، وهناك قانون يبين مقدار زيادة ارتفاع القضيب الخارجى عن الداخلى ، ويصل هذا إلى نحو عشرة سنتمترات .

وفى الطيران كثيراً ما يصاب السائق بدوخة إذا اضطر إلى إدارة طائرته بسرعة كبيرة تصل الآن إلى نحو ٤٠٠ ميل فى الساعة ، وتزول الدوخة بعد أن تعود الطائرة إلى سيرها فى خط مستقيم ، وذلك لأن دمه يسـير فى جسمه بقوة ضربات قلبه ، فعند الدوران يميل دمه إلى السير فى نفس الخط المستقيم الأصلى ، فبذلك ينحرف دمه إلى جانب من جسمه ورأسه فيشعر بالدوخة .

القوة المعنوية :

هذا من ناحية القوة المادية ، أو القوة التى لهـا أثر مادى من حركة أو سكون ، واستكمالا للبحث نشير أيضاً إلى القوة المعنوية ، وأرى أن القوة على العموم — سـواء أكانت مادية أم معنوية — يصحبها دائماً حركة ، فـكما أن القوة المادية تغير من سكون الجسم أو حركته المنتظمة ، فكذلك القوة المعنوية تـكسب الإنسان اعتزازا بنفسه عند الإقدام ، وتهب له الثقة التامة عند العمل ، وذلك بقدر اعتزاز الشخص القوى العضلات بجسمه ، وثقته فى النجاح بقوته إلا أن القوة المادية تظهرها قوة الجسـد ، والقوة المعنوية كامنة فى الروح والنفس ، وكما أن القوة المادية تنمى وتزاد سواء أكانت للفرد أم للجماعة ، فـكذلك القوة المعنوية فإنه يمكن أن تعزز وتقوى للفرد أو للأمة أيضاً ، فالطفل إذا شجع عند الإتقان ، وأغضى عنه عند هفوته ، علت نفسه ، وقويت عزيمته ، والرجل ما هو إلا طفل كبير ، من ناحية على الأقل ... ، والأمة ما هى إلا مجموعة أفراد تربطهم روابط خاصـــة ، ولذلك يلجأون فى الحروب إلى الرقابة على الصحافة والإذاعة ، وذلك للعمل على رفع القوة المعنوية للأمة وجيشها .

ولا بد لمن يهمهم رفع القوة المعنوية لفرد أو أمة من اسـتخدام علم النفس الفردى والاجتماعى ، وعندئذ تجد الأمة ذات القوة المعنوية العالية لا تتزعزع منها الثقة ، ولا تضعف منها العزيمة ، بل تسير قدما فيما أرادت ، واثقة من فوزها فى النهاية ، متأكدة من الوصول إلى هدفها وإدراك الغاية والثقة — وهى وليدة القوة المعنوية — لها نصـف العمل ، والنصف الآخر للقوة المادية ، وهب لنا الله من لدنه القوة المـادية والقوة المعنوية ، وهدانا إلى سواء السبيل .

محمد عاطف البرقوقى
ناظر المدرسة التوفيقية

من عيون الأدب الغربي :

حديقة أبيقور لأناتول فرانس

بقلم الأستاذ بولس سلامة

تمهيد :

كان أناتول فرانس كاتباً شديد الشك ، شديد السخرية ، متشائماً هدّاماً . ولا غرابة فقد أنجبته فرنسا التي أنجبت من قبله فولتير إمام الشاكين في زمانه وفي كل زمان .

وأناتول فرانس كفولتير يتخذ السخرية طريقاً لإصلاح المجتمع والمعتقدات والناس . ويشترك معه في هذه الصفة الكاتب الانكليزي (شو) إلا أن (شو) يكتب بأسلوب العلماء وأناتول فرانس يكتب بقلم أسلست له اللغة وطاوعه البيان فجاءت كتاباته آية من آيات الأدب الرفيع . وفي حديقة أبيقور يتجلى شك أناتول فرانس وتهكمه وتشاؤمه ويتجلى فنه الرائع وأسلوبه الشيق البديع وقد اقتطفنا لك من هذه الحديقة باقة صغيرة إن أعجبك رواؤها وشذاها فادخل الحديقة وشاهد وتأمل ...

الهناء والشقاء :

كنت أقرأ كتاباً لشاعر فيلسوف تخيل فيه جيلاً من الناس خلت قلوبهم من الهم والسرور والعناء .

ورجعت من هذه الحياة المثلى التي تخيلها الشاعر الفيلسوف إلى عالمنا هذا حيث يكافح الإنسان ويشقى ويتألم ويحلم فعجبت كيف يضطرب قلب الإنسان حنيناً إلى مشاركة هؤلاء في كفاحهم وشقائهم وآلامهم وأحلامهم . في هذه الحالة — وفيها وحدها — يجد الإنسان نبعاً من الغبطة لا ينضب

ولقد قنعت بعد قراءته بنصيبي المتواضع في هذه الأرض ورضيت عن نفسي وإخواني الذين يشاركونني هذا النصيب المتواضع الصغير . بل اقتنعت بأننا في شقائنا أنبل من هاته الخلائق التي يرسمها هؤلاء الفلاسفة الحالمون بلا ألم ولا شقاء .

إننا إذا اقتطعنا الألم والعواطف والأهواء من حياة الناس اقتطعنا معها الشعر والفن وكل شيء جميل . وكيف يشعر الشعراء في عالم لا ألم فيه ولا حرمان ولا شقاء ؟ إنهم يغمضون عيونهم ويصمون آذانهم عن أعاجيب الفن والشعر التي تجعل من هذه الأرض المتواضعة سماءً لا تطاولها سماء .

إن بيتاً واحداً من الشعر الرفيع ليفعل في النفس ما لا تفعله هذه المخترعات الحديثة وهذا العلم الحديث .

وأي عالم نتخيله وقد امتلأ بالمهندسين والعلماء ، بلا شعر ولا حب ولا أهواء . وكيف يشعر ويحب ويغني القانع الراضي القرير؟ إنما الحب نبت لا يزكو إلا بالدموع والبكاء .

إنه لمن الخير أن ننسى الألم وأن نرضى بنصيبنا من هذا العيش الذي يتداول فيه الخير والشر والعسر واليسر كما يتداول الليل والنهار .

الغباء :

الغباء شرط لازم — لا أقول للسعادة — بل للحياة . فلو عرفنا كل شيء لما استطعنا أن نعيش ساعة واحدة .

إن هذه الأشياء التي يحلو بها العيش أو يطاق إنما تقوم في الواقع على الوهم والغباء .

الشيوخ :

عند ما يشيخ المرء يزداد تمسكاً بآرائه ؛ ولذلك يعمد سكان جزيرة فيجي إلى قتل الشيوخ ، وبهذا ييسرون تقدم الإنسانية . ونحن نفعل النقيض بتأسيس الأكاديمية .

الكتب :

قالت لي فتاة صغيرة — وفي قولها حكمة غابت عن كثير من الحكماء — إننا نجد في الكتب ما لا نجده في عالم الواقع من أشياء مضت وانطوت فلا تعود ، أو أشياء متوقعة نتخيلها ولا ندركها على التحديد . فهي صورة قاتمة واهمة . وإني أرى أن من الخير ألا يقرأ الكتب الصغار . في الحياة أشياء كثيرة

أحق باهتمامهم : البحيرات والأشجار والأنهار والحدائق والبحار والسفين فى الماء والنجوم فى السماء . وإنى لأشاركها هذا الرأى فإننا نملك ساعة من العمر لنحياها ، فلما ذا نقضيها فى البحث عن أشياء كثيرة لا يضيرنا أن نجهلها ما دمنا لا نعرف عنها كل شيء . إننا نعيش كثيراً فى عالم الكتب وقليلاً فى عالم الطبيعة ، ونحن فى ذلك أشبه بذلك الكاتب الذى ظل يدرس كتاباً يونانياً قديماً بينما كان بركان فيزوف يقذف النار ويحرق خمس مدن عامرات

(الخرطوم سودان) **بولس سلامه**

حكم المفكرين الغربيين على «محمد»

للاستاذ عبد المنعم ماجد

لاح محمد كنجم شارق فى دياجى العصور الوسطى فاختط طريقاً جديداً لعالم جديد ودين جديد ، يعمل على فك قيود العقل من عبودية التقاليد والوهم ومن التعصب الديني والجنسي . على أن شمس الفكر وإن كانت قد سطعت فى أحضان الشرق فقد ظلت محجوبة بحلكة هذه العصور فى الغرب فلم يستطع مفكرو العصور الوسطى فى أوربا أن يخرجوا من هذا النطاق المضطرم بنزعات التعصب الديني ليلتمسوا نور الحقائق المجردة عن الهوى ولينطلقوا بالأفكار حرة غير مقيدة ، ولذا لم يكن مستغرباً أن يلاقى محمد الطعن السافر فى ذلك الزمن ، وألا يرتفع صوت واحد بعيداً عن التشويش والتعصب ، فطعن فى شخصيته واتهم بالتلفيق والشعوذة ، واستهجنت رسالته ووصمت بالكفر والانتحال . فنرى دانتى كأحد المفكرين البارزين الذين هيأ لهم القدر أن تكون حركة النقلة إلى عصر النهضة على أيديهم يقسو فى حكمه على محمد فيضعه فى الطبقة الثامنة فى الجحيم مع المشعوذين الذين كتب عليهم الخلود أبداً فى نار جهنم ، وجريرته فى رأيه أنه مدع دعا إلى تخليص العقيدة من كل شرك — ولم تكن المسيحية آنذاك يمكن أن تتصوره بأية حال . والواقع أن رأى دانتى فى محمد معبر عن خلال العصر الذى عاش فيه — فهو نفسه أى دانتى عاش فى أواخر العصور الوسطى حيث كانت روح التعصب ما زالت تسود العقول ، وحتى الآن ما زال محمد خصما فى نظر بعض الأوساط الأوربية المفكرة ينظر إليه على أنه النبي الكاذب الذى ادعى بهتاناً أنه نبى الله .

أما فى القرن الثامن عشر ، وهو الذى أطلق عليه الباحثون القرن المضىء — فقد كان عصر تطور فكرى واجتماعى عميق فبدأ فلاسفة هذا القرن ينظرون بنية خالصة إلى أصحاب الحركات الدينية الغير مسيحية ، ويقدرون خلالهم الطيبة محاولين جادين أن يهدهدوا نعرة التعصب التى كانت تشل حرية التفكير فضلا عن أنهم لم يجدوا بأساً فى تلمس الحقائق التى لا ضرر فى الكشف عنها على سلامة المسيحية ، وكانت هذه المرونة فى التفكير مفيدة للاسلام فرأينا من يكتب عن محمد ورسالة محمد بنزاهة وإنصاف وإن وجدنا فى نفس هذا القرن المضىء أولى الملات وأصحاب المآرب الذين لم يتورعوا عن قرع الحقيقة والطعن بقسوة على نبى الاسلام بطريقة اعتبرها بعض المفكرين الغربيين أنفسهم خطرة على سيادة العقل وحرية الفكر . فسالى وبولينفيي وسافارى أمثلة لبعض البحاث الذين عملوا على إظهار بعض الحقائق فى أثناء دراستهم لشخصية الرسول . فالأول يترجم القرآن فى سنة ١٧٣٤ ، ويبرز لنا محمداً كرجل مثالى ظهر فى الانسانية العليا . وقبله بولينفيي يؤلف كتاباً عن محمد يحاول فيه أن يبرهن بقوة على أفضلية الدين الاسلامى على غيره من الأديان ، ويبرز لنا شخصيته كمشرع حصيف مستنير جاء بدين صحيح جعله هداية للعالمين ليحل محل المسيحية واليهودية وهما الديانتان اللتان كانتا قد تقوضت مبادئهما وملأتهما الريبة . أما سافارى فيترجم القرآن فى سنة ١٧٨٢ ، ويضع محمداً بين الرجال القلائل الذين ظهروا على سطح الأرض ونفحتهم الطبيعة قدرة خارقة ليغيروا أحوال الناس والعصر وليقودوهم إلى النماء والرخاء . فسيرة محمد فى رأيه تذهل الباحث وتدفعه إلى الإيمان بكمال العقيدة التى توصل إليها

والتى ساعدته الظروف فيها . فى أثناء رحلاته شاهد ببصيرة يقظة انقسام المسيحية وتحجر اليهودية ؛ فأراد أن يكون دينه للجميع ، وأن يكون فيه يسر وانسجام مع الفطرة والعقل . وبالرغم من أنه ولد وثنياً فقد دعا إلى تخليص العقيدة من كل شك ، وتجريد الله من كل مادة . وعبادة إله واحد له الأمر من قبل ومن بعد . ولكى يستميل إليه القلوب ويقنع الناس بصحة مبادئه ويضمن لها التأييد ، أحاط نفسه بالحماية الإلهية ، وادعى أنه رسول الله . فعلى المفكرين المستنيرين أن ينصفوا محمداً لا كرسول بل كأحد هؤلاء الرجال النوادر الذين أثروا فى الحياة تأثيراً ظاهراً لا زال باقياً حتى الآن .

هذا الحكم الرفيق على محمد المقدر لعبقريته قوبل بتيار آخر عنيف ساد بين بعض المفكرين فى نفس هذا القرن المضىء وصل إلى حد التشويه والمثالب . فنرى فولتير يغضب على محمد فى مأساته التى نشرها فى سنة ١٧٤٢ ؛ فى المقدمة يهاجم مباشرة آراء سالى وبولينبى وهما اللذان دافعا عنه ، وعلى أية حال فإن حكم فلتير القاسى على الرسول خففه فى مقالته التى كتبها عن الأخلاق L'essai sur Les Moeurs فاعترف فيها ببعض مواهبه وإن رأى أنه لم يأت بشىء جديد سوى ادعائه النبوة . وقد راج رأى فولتير وقتاً فنرى ديدرو يستفيض فى طعنه على محمد بينما نرى كارلايل فى محاضرته عن الأبطال فى ٨ مارس سنة ١٨٤٠ يحمل على الذين يشنعون على نبى الإسلام فيرمونه بالكذب والانتحال ، ويرى أن مثل هذا التفكير البعيد جداً عن جادة الصواب خطر على سيادة العقل بل مخجل المسيحيين أنفسهم . — فهناك مائة وثمانون مليوناً من الأنفس يدينون بالإسلام ويؤمنون بمحمد كرسول من عند الله ، ويتخذون سنته مرشداً لهم فى الحياة — ويتساءل قائلا : هل من المعقول أن هؤلاء جميعاً ينساقون وراء مشعوذ دجال ؟ وهل بلغت الشعوذة من القوة والسيطرة ما يجعل لها هذا السلطان على هذه العقول ؟ الواقع أن هذا التخبط راجع إلى اضطراب العصر — ثم — هو يرى أن محمداً كان مخلصاً بحق لدعوته فقد نظر إلى العالم نظرة كلها حياة فنى فى حب الإله ، وربط ما بين الأبدية وما بين عالمنا . فلو كان محمد نبياً أو شاعراً فهو فى كلتا الحالتين رجل غير عادى .

هذه اللفتة الطيبة فى معالجة شخصية محمد وتلك الروية والرغبة فى الوصول إلى حقائق مجردة عن التعصب ازدهرت فى عصرنا الحاضر فاعتبره الكثيرون فى مقدمة المصلحين الذين بذروا بذرة صالحة فى حقل الحضارة والدنية ، ولكنهم أى هؤلاء العلماء اختلفوا فى الحكم عليه بل لم يستطع بعضهم الوصول إلى رأى ثابت . ولعل أوضح هؤلاء المستشرقين الذين دافعوا عن محمد واهتموا بدراسة سيرته تور أندراى Tor Andrae الألمانى الذى يعتقد فى نبوة محمد ويستفيض بحماس فى تقدير رسالته التى تعتمد فى أصولها على البساطة والفطرة ، وهو يتساءل فى آخر كتابه عن محمد قائلا : هل يمكننا مع هذا أن نتوصل بحق إلى تفهم شخصية محمد على وجهها الصحيح ...

الواقع أن علماء الغرب مازالوا متحيرين فى حكمهم النهائى على محمد

عبد المنعم ماجد
عضو بعثة التاريخ الاسلامى لجامعة فؤاد

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨١٦ — الرضى عن الله والغنى عن الناس

الكامل للمبرد :

كان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال . قال له عبد الملك يوماً : ما مالك ؟

فقال : شيئان لا عيلة على معهما : الرضى عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرت بمقدار ما لك .

فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرنى أو كثيراً فيحسدنى .

٨١٧ — ولو على الحجارة

قال زياد فى رجل ولى تحصيب جامع البصرة : آثر الأمارة ولو على الحجارة .

٨١٨ — مظلوم

لم يخلق الله مسجونا تسائله ... ما بال سجنك إلا قال : مظلوم

٨١٩ — وأحمد فيه معرفة ووزن

حكى أنه كان بالعراق رجلان أحدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن عمله وولى أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك :

أبا عمرو ، استعد لغير هذا ... فأحمد فى الولاية مطمئن
وكل منكما كفء كريم ... ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل ... وأحمد فيه معرفة ووزن

٨٢٠ — يعوقنى أبوك عنه ...

تاريخ ابن عساكر .

لما ولى مروان بن الحكم فى عمله الأول دخل عليه حويطب فتحدث عنده . فقال له مروان : ما سنك ؟ فأخبره . فقال له كبرت أيها الشيخ وتأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث .

فقال له : الله المستعان ، لقد هممت بالإسلام غير مرة ، كل ذلك يعوقنى أبوك عنه وينهانى ويقول : تضيع شرفك ودين آبائك لدين محدث وتصير تابعاً .

فأسكت (والله) مروان وندم على ما كان قال له :

٨٢١ — وكل بصاحبه يسخر

ألم تر أنى أزور الوزير ... فأمدحه ثم أستغفر
فأثنى عليه ويثنى علىّ ... وكل بصاحبه يسخر

٨٢٢ — المتنبى وكافور

حكى عن المتنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلى ويبش فى وجهى إلى أن أنشدته :

ولما صار ود الناس خبا ... جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمى أنه بعض الأنام

فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا ؛ فعجبت من فطنته وذكائه .

٨٢٣ — قد كدت تسبين فؤاد الحاكم

قدم رجل امرأة حسنة النقيبة إلى القاضى فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء إليها . ففطن الرجل بحال القاضى . فعمد إلى نقابها فأسفره ، فرأى القاضى وجهاً وحشاً فحكم القاضى عليها وقال قومى لعنك الله ! كلام مظلوم ووجه ظالم فقال زوجها :

قومى إلى رحلك أم حاتم
قد كدت تسبين فؤاد الحاكم
بنطق مظلوم ووجه ظالم

٨٢٤ — وليس لى عباءة ...

لقى رجل صاحباً له فقال له : إنى أحبك . فقال : كذبت لو كنت صادقا ما كان لفرسك برقع وليس لى عباءة .

٨٢٥ — ولكن لترى

نظر بعضهم إلى جارية حسناء خرجت يوم عيد فى النظارة فقال : هذه لم تخرج لتَرى ولكن لتُرى .

٨٢٦ — كما أطرب على حسن الغناء

فى ديوان المعانى :

روى عن محمد الأمين أنه قال : إنى لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

٨٢٧ — لماذا أكلت طعام السفل

قال ابن فارس : أنشدنى الأستاذ أبو على محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذانى وهو اليوم حى يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه :

وقيت الردى وصروف العلل ... ولا عرفت قدماك الزلل

شكى المرض المجد لما مرضت ... فلـــما نهضت سليما أبل

لك الذنب لا عتب إلا عليك ... لـــماذا أكلت طعام السفل

٨٢٨ — بيت المتنبى المعظم

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته ، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته ، وبه جاءت أوامر الله سبحانه ، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية ، وبه استقام لأهل الدين دينهم ، وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضرهم إذ كان موضوع الجبلة على أن لا تخلو الدنيا من الطغاة الماردين ، والغواة المعاندين الذين لا يعوزهم الحكمة فتردعهم ، ولا يتصورون الرشد فيكفهم النصح ويمنعهم ، ولا يحسون بنقائص الغى والضلال ، وما فى الجور والظلم من الضعة والخبال ، فيجدوا لذلك مس ألم يحبسهم على الأمر ، ويقف بهم عند الزجر ، بل كانوا كالبهائم والسباع لا يوجعهم إلا ما يخرق الأبشار من حد الحديد وسطو البأس الشديد . فلو لم تطبع لأمثالهم السيوف ، ولم تطلق فيهم الحتوف لما استقام دين ولا دنيا ، ولا نال أهل الشرف ما نالوه من الرتب العليا . فلا يطيب الشرب من منهل لم تعف عنه الأقذاء ، ولا تقر الروح فى بدن لم تدفع عنه الأدواء .

٨٢٩ — إجازة كلا إجازة

الكشاف للزمخشرى :

(إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)وهو الفاجر الكثير الآثام . وعن أبى الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : طعام اليتيم ، فقال : قل : طعام الفاجر يا هذا . وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهى أن يؤدى القارئ المعانى على كمالها من غير أن يخرم منها حرفا ، قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن فى كلام العرب خصوصاً فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها . وما كان أبو حنيفة (رحمه الله) يحسن الفارسية ، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة مثل قول صاحبيه فى إنكار القراءة بالفارسية .

٨٣٠ — الغنيمة الباردة

الفائق للزمخشرى : الغنيمة الباردة هى التى تجىء عفواً من غير أن يصطلى دونها بنار الحرب ويباشر حر القتال . وقيل : الثابتة الحاصلة ، من برد لى عليه حق . وقيل الهنيئة الطيبة من العيش البارد . والأصل فى وقوع البرد عبارة عن الطيب والهناءة إن الهواء والمــاء لما كان طيبهما ببردهما خصوصاً فى بلاد تهامة والحجاز(١) قيل : هواء بارد وماء بارد على سبيل الاستطابة ، ثم كثر حتى قيل : عيش بارد وغنيمة باردة ، وبرد أمرنا .

٨٣١ — فانظر إلى من يقودها

إذا شئت أن تقتاس أمر قبيلة ... وأحلامها فانظر إلى من يقودها

(١) البيئة الطبيعية توضح أشياء كثيرة فى اللغة وفى غير اللغة .

٨٣٢ — ... إلى أن تستوفى أجرتك

الأمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى :

حدثنا ابن سيف الراوية قال : رأيت جحظة (البرمكى) قد دعا بناء ليبنى له حائطا ، فحضر ، فلما أمسى اقتضى البناء الأجرة ، فما كسا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما ، فقال جحظة : إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهما ! قال : أنت لا تدرى أنى قد بنيت لك حائطا ليبقى مئة سنة . فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط ، فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفى أجرتك ...

٨٣٣ — الكمثرى :

المعرب لموهوب الجواليقى : قال الأصمعى : من الفارسى المعرب (الكمثرى) يقال : كُمَّثْراة وكمثرى منون مشدد ، ولم يعرف التخفيف . قال أبو حاتم : وقد يزعمون أنه لا يجوز غير التخفيف ، فانكر ذلك الأصمعى وأنشد :

أكمثرّى يزيد الحلق ضيقا ... أحب إليك أم تين نضيج

قال : الأصمعى : حدثنى عقيلى قال : قيل لابن ميادة (الكمثرى) فلم يعرفه لأنه أعرابى ، ثم فكر وقال : مالهم — قاتلهم الله — يقولون الأُكُمُ أثرى .

ليست — والله - بأثرى ولا كرامة . والأكم المرتفعات من الأرض .

٨٣٤ — يا يزيد بن مزيد

ابن خلكان : رأيت فى بعض المجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال : كنت مع يزيد بن مزيد (١) فاذا صائح فى الليل (يا يزيد ابن مزيد) فقال : على بهذا الصائح ، فلما جىء به ، قال : ماحملك على أن ناديت بهذا الإسم ؟ فقال : نفقت دابتى ، ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر :

إذا قيـل من للمجد والجود والندى
فنـاد بصـــوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له ، وقال له : أتعرف يزيد بن مزيد ؟ قال : لا والله ، قال : أنا هو ، وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به ومئة دينار .

(١) الشيبانى ابن أخى معن بن زائدة :

عينـــان ...

للدكتور إبراهيم ناجى

طوى السنين وشقّ الغيب والظلما
برق تألق فى عينيـــك وابتسما
يا سـارى البرق من نجمين يومض لى
ماذا تخبىء لى الأقــدارُ خلفهما

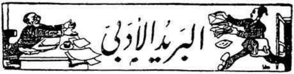
أجئت بى عتبات الخلد؟ أم شركا ... مددت لى من خداع الوهم أم حلما
كأننى ناظرٌ بحرا وعاصفةً ... وزورقا بالغد المجهول مرتطما
حملتنى لسماء قد سريتُ لها ... بالروح والفكر لم أنقل لها قدما
شفّت صديعا ورقّت فى غلائلها ... فكدت أبصر فيها اللوح والقلما
رأيت قلبين خط الغيب حبهما ... وكاتباً ببنان النور قد رسما
وسحر عينيك إنى مُقسمٌ بهما ... لا تسألى القلب عن إخلاصه قسما
واهاً لعينيك كالنبع الجميل صفا ... وسال مؤتلق الأمواج منسجما
ما أنتما ؟ أنتما كأس وإن عذبت ... فيها الحمام ولا عذر لمن سلما
لما رمى الحب قلبينا إلى قدر ... له المشيئةُ لم نسأل لمنْ ولِما
فى ساعة تجمع الآباد ، حاضرها ... وما يجىء ، وما قد مر منصرما

قد أودعت فى فؤاد اثنين كل هوى
فى الأرض سارت به أخبارها قدما

كلاهما ناظر فى عين صاحبه ... موجا من الحب والأشواق ملتطما
وساحة بتعلات الهوى احتربت ... فيها صراع وفيها للعناق ظما

يا للغديرين فى عينيك إذ لمـــا
بالشوق يومض خلف الماء مضطرما

والنقيضين فى كأسين قد جمعا ... فالراويان هما والظامئان هما
بأى قوس ، وسهم صائب ويد ... هواك يا أيها الطاغى الجميل رمى
رمى ويبرى ، فى آن وأعجبه ... أن الذى فى يديه البرء ما علما
وكيف يبرئنى من لست أسأله ... برءا وأوثر فيه السهد والسقما
لو أن فى الموت أسبابا تقربنى ... إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما
إن الليالى التى فى العمر منك خلت ... مرّت يبابا وكانت كلها عقما
تلفت القلب مكروبا لها حسرا ... وعض من أسف إبهامه ندما



حول (كتب وشخصيات) :

لم يسمع الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى نصيحتى ، فيؤجل قراءة كتابى الجديد حتى يعود من مصيفه ، وهو المسئول إذن عن إضاعة وقت المصيف فى القراءة . فكتاب البحر الخالد وصفحاته المتجددة خير بلا شك من جميع « الكتب » ومن جميع « الشخصيات » !

هل أشكره لأنه كلف نفسه ذلك العناء ، وضيع على نفسه ما هو خير ؟ أم أشكر للروح الطيبة التى تناول بها كتابى !

فلا بق ذلك كله الآن ، لأنبه إلى فقرة جاءت فى ثنايا كلماته الودود :

« ليس فى « قنديل أم هاشم » ذلك التحليل العميق للنفس البشرية ، حتى إذا نقلت القصة إلى لغة أجنبية نالت الإعجاب . ويبدو أن صداقة الأستاذ سيد قطب للمؤلف هى التى دفعته إلى تشجيعه . ومن آيات هذه الصداقة أنه يقول : أوه ! يحيى حق ! أين كانت كل هذه الغيبة الطويلة ؟ فيم هذا الاختفاء العجيب »

بيننا اختلاف لا شك فيه على تقدير أقصوصة « قنديل أم هاشم » ولكن الأستاذ يذكر أنه قرأها منذ أمد بعيد . وأنا قد قرأتها وقرأتها وقرأتها . فلعله يرجع إذن مرة أخرى إليها فقد يعدل رأيه .

وهناك حقيقة يجب أن أذكرها هنا . إننى لا أعرف يحيى حق . لم ألقه مرة واحدة فى حياتى ، وأنا أود أن أراه لأعنفه أقسى التعنيف على سكوته . إننى صديق لقنديل أم هاشم لا ليحيى حق !

ولست أقرر هذه الحقيقة لأهرب بها من تبعة ثنائى عليه . فلو كان صديقى ما تغير حكمى . وفى من كتبت عنهم أصدقاء ومعارف ، وآخرون لا أعرفهم ، ولم ألقهم فى حياتى . وكلهم كتبت عنهم بروح واحدة ، لأن النقد الفنى يجب أن يكون موكلا بالعمل الفنى .

وحتى العقاد نفسه وصلتى بشخصه معروفة ، وصلتى بأدبه أوثق مرات من صلتى بشخصه — ولو فهم الكثيرون غير هذا — كتبت عنه فى كل مرة بالعقيدة الفنية التى اعتقدها . وقد يبدو فيما كتبته أخيرا عن « العقاد الشاعر» فى « كتب وشخصيات » أننى أختلف معه فى بعض الأحيان ، على تعريف الشعر وتذوقه ، وعلى النظر إلى العاطفة وأطوارها .

ولكنه اختلاف الرأى والإحساس ، الذى لا بد أن يقع بين شخصية وشخصية ، متى تبلورت الشخصيتان ، وظهرت معالمهما كاملة ، ولو كانتا شخصيتى التلميذ والأستاذ

أقرر هذه الحقيقة لأنها تنفعنا فى عالم النقد ، كما تنفعنا فى عالم الأخلاق . وللأستاذ الأهوانى شكرى مرة أخرى ، أن أتاح لى فرصة هذه الكلمات .

سيد قطب

الكتب

فقه القرآن والسـنة
القصـاص

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

للأستاذ محمد محمد العزازى

من فترة بعيدة فى تاريخ المسلمين ، وكل ما يؤلف فى الفقه الإسلامى لا يعدو أن يكون شرحاً أو جمعاً أو تلخيصاً لا تبدو عليه مسحة من الاجتهاد ، أو حتى من الفهم المستقل ، وكان لهذا أثره السئ من رمى المسلمين بالجمود ، ومن قصور التشريعات الحديثة ، ومن خفاء محاسن الشريعة الإسلامية على المسلمين أنفسهم . قال الشيخ شلتوت متحدثاً عن « جفوة المسلمين للفقه فى العصر الأخير » :

« ولقد مضى هذا الزمن ، وصار الفقه الإسلامى صناعة علمية مجردة عن المعانى النفسية والقلبية ، بل صار الفقه فى كثير من نواحى الحياة العملية صفحات تاريخية لا تمت إلى الواقع بأدنى سبب ، وانحاز الناس جميعاً فى تعاملهم وأحكامهم إلى أحكام أخرى يسيرون عليها فى حياتهم ، ويضبطون بها شئونهم غير ذا كرين ما عندهم من فقه ساير أرقى الحضارات التى مرت بالعالم الإسلامى »

وقد نحا أستاذنا الكبير فى كتابه هذا منحى جديداً ينعش — بحق — آمال المسلمين فى الرجوع إلى فقههم وفى تفهم مقاصده واتجاهاته . وقد كتب كتابه هذا بعقلية المجتهد ، وأقر كثيراً من الموضوعات بما أوتيه من استعداد خاص فى هذه الناحية لم يتيسر لغيره من علماء المسلمين من زمن بعيد

وللشيخ شلتوت مدرسة خاصة تكونت من تلاميذه فى الأزهر ، ومن تلاميذه فى كلية الحقوق . وإنا لنرجو أن يكون لهذه المدرسة شأنها فى العصر الحديث فى إنهاض الفقه الإسلامى وعرضه على الناس عرضاً صحيحاً سائغاً مقبولا

... وكتاب الشيخ موضوعه « القصاص » ، وقد مهد لموضوعه بفصول ممتعة فى هذه المفردات : « الفقه ، القرآن ، السنة » مبيناً معانى هذه الكلمات ، وما طرأ عليها على ضوء تاريخ التشريع فى العصور الإسلامية ، وقد دفع الشيخ دفعاً قوياً رائعاً شبهة القائلين : « إن الشريعة الإسلامية جاءت عن طريق الشرائع القديمة ، ولم يكن للعرب قانون معروف ، حتى تكون تعديلا له وتنظيما لأحكامه » . وبين أن القرآن جاء وللعرب عادات ومعاملات وعرف ، وأنه (أقر كثيراً مما درجوا عليه فى هذه الشئون ، وهذب فيها وعدل وألغى وبدل ، وليس ذلك مما يضير القرآن فى تشريعه واستقلاله ، فما كان الإسلام إلا دينا يراد به تدبير مصالح العباد وتحقيق العدالة وحفظ الحقوق ، ولم يأت ليهدم كل ما كان عليه الناس ليؤسس على أنقاضه بناء جديداً لا صلة له بفطرة البشر وما تقتضيه سنن الاجتماع) . وقد تتبع الشيخ فى هذا الفصل كثيراً مما كان عند العرب وكثيراً من التشريع القرآنى فى دقة وإبداع . وقال فى نهايته : « وهذا بحث جدير بالاستيعاب والتتبع ، إذ به يتبين مقدار الصلة بين التشريع الإسلامى ، وبين ما كان معروفاً عند العرب وقت نزول القرآن » وللشيخ قدرة على التتبع تظهر للقارئ فى كل فصول الكتاب .

وقد ذكر الشيخ عن القرآن أنه لم يكن فى أكثر أحكامه مفصلا : « ولكنه يؤثر الإجمال ويكتفى فى أغلب الشأن بالإشارة إلى مقاصد التشريع وقواعده الكلية ، ثم يترك للمجتهدين فرصة الفهم والاستنباط »

وكان هذا شأن القرآن فى الأمور التى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، وهذا هو سر الخلود فى الشريعة الإسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان ، واتساعها لكل ما يجد من المقتضيات والأحوال . أما فى الأمور التى لا تتغير ، فإنه يفصلها سمواً بها عن مواطن الخلاف والجدل ، ولأنه يريدها مستمرة على الوضع الذى حدده لابتنائها على أسباب لا تختلف . وقد تحدث الشيخ حديثاً رائعاً عن أسباب الاختلاف بين العلماء فى الفقه الإسلامى . ومما أعجبنى ما تحدث به عن إثبات نسب أسامة بن زيد بقول

القائف : « هذه الأقدام بعضها من بعض » . وإن العلماء قد اختلفوا فى هذا فاستدل بعضهم باستبشار الرسول لما سمع هذا الكلام على إقراره ، وأنه دليل على ثبوت النسب ، وقد رجح المؤلف رأى القائلين بذلك . والذى أعجبنى فى هذه المسألة قول المؤلف :«وقد كان هذا أصلا عظيما فى الأخذ برأى الطب الشرعى فى الحوادث التى يعتبر القانون نظرها لتبين جهة الحق فيها من اختصاصه ، ويمكن أن نلج من هذا الباب إلى الاعتماد فى القضاء والحكم على الوسائل الجديدة التى لم يعرفها الفقهاء من قبل كتحليل الدم وكآثار الأيدى والأقدام ، وغير ذلك مما يعرفه علماء التحقيقات الجنائية وأهل الخبرة » ثم تكلم عن الحكم بالقرائن ، وضرب لذلك أمثلة ختمها بقوله : « بهذا يتبين أن الأخذ بالقرائن فى الأحكام ليس من مبتكرات القوانين الحديثة ، وإنما هو شريعة إسلامية جاء بها كتاب الله وقررته السنة ودرج عليه حكام المسلمين وقضاتهم فى جميع العصور ، وإن رمى الشريعة بالقصور أو الجمود فى طرق الحكم ناشئ إما عن الجهل أو عن سوء النية » وإن كل ما أورده المحدثون من تقسيم للقرائن موجود بذاته فى كتب الفقه الإسلامى . ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى الحديث عن القصاص ، وسبيله فى هذا أن يشرح الآيات والأحاديث الواردة فى هذا الموضوع مبيناً مقاصده ومفصلا أحكامه .

ومما يروع القارئ فى هذا الباب قدرة الشيخ على التطبيق واستقلاله فى الفهم ووصله الفقه الإسلامى بالحياة الحديثة ، وقد مهد لموضوعه بالكلام عن العقوبات فى الشريعة ، وقسم العقوبة إلى منصوص عليها ، وإلى تفويضية يرجع تحديدها إلى الحاكم ، وبين أن العقوبة التفويضية مجال واسع يتسع لكل ما يجد فى الحياة ، وبعد هذا البيان قال : « ولا يرتاب منصف بعد هذا فى أن هذه العقوبة أساس قوى ومصدر عظيم لأدق قانون جنائى تبنى أحكامه على قيمة الجريمة وظروفها المتصلة بالجانى والمجنى عليه ومكان الجريمة وزمانها فى كل ما يراه الحاكم اعتداء على حقوق الأفراد أو الجماعات ، بل فى كل ما يراه ضاراً بالمصلحة واستقرار النظام »

ومما أبدع الشيخ فيه وأمتع حديثه عن حق العفو ، وإن الشريعة الإسلامية قصرته على ولى الدم ، ولم تجعله فى يد الحاكم ليكون هذا أدعى إلى اطمئنان النفوس وطهارتها من الأحقاد والأضغان وأمن المحظور والفتنة .

وقد بلغ الشيخ غاية التوفيق فى كتابه عن الشروع فى القتل ، وعن معنى التحريم فى قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » . وعن آية القتل وعن القصاص فيما دون النفس إلى غير ذلك من موضوعات التى لا بد للقارئ من الرجوع إليها فى الكتاب نفسه

وإذا كان لى رجاء أتقدم به إلى أستاذنا الكبير ، فهو أن يقدم لنا « المعاملات » فى الفقه الإسلامى على النمط الذى قدم لنا به موضوع « القصاص » ، وأن يبين لنا موقف الشريعة الإسلامية من كل ما جد من المعاملات فى العصر الحديث ، لأن هذا موضوع يشغل بال كل مسلم

هدانا الله وهداه لخير الإسلام والمسلمين

(أبو حماد) **محمد محمد العزازى**
المدرس بالأزهر